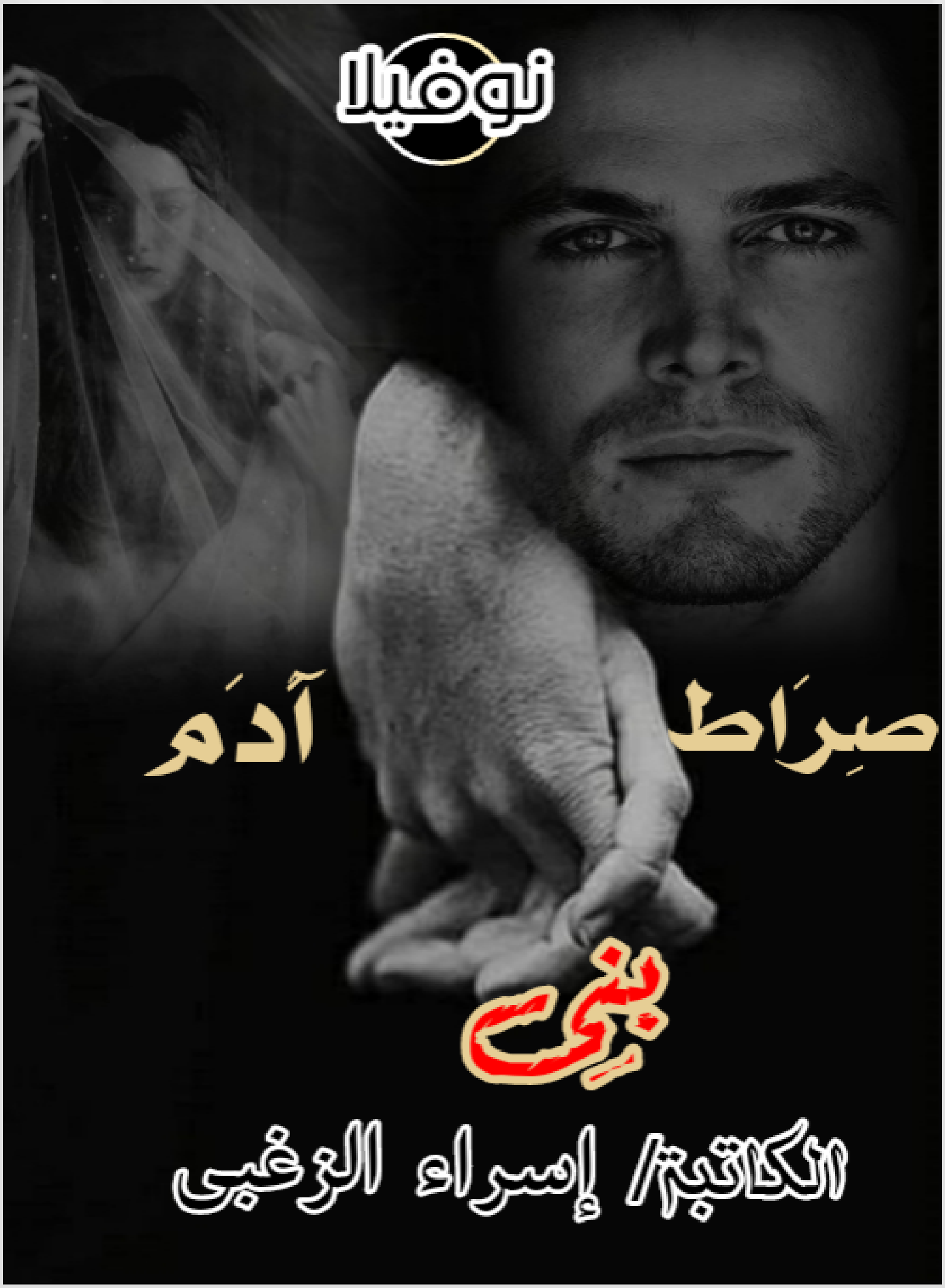
نوفيلا
صِرَاط
آدَم
بنى
الكاتبة/ إسراء الزغبى

جروب الفيس الخاص بالكاتبة والتى يتم نشر كل ما هو جديد به

روايات بقلم إسراء الزغبى

https://www.facebook.com/grou/ps/556590321582765/

صفحة الفيس الخاصة بالكاتبة

روايات بقلم إسراء الزغبى

https://www.facebook.com/esraaelzoghbi/

مدونتى

.https://moltaqaalaqlam.blogspot.com/?m=1

تتحرك بعشوائية بغرفتها يمينا ويسارا ثم يسارا ويمينا دون توقف

وضعت يدها على جبينها عابسة بلطافة معنفة نفسها:

- يلهوى عليكى يا مودة يعنى كان لازم تتكسفى تقولى للراجل يضيقه كمان شوية

دبدبت بقدميها أرضا بطفولة متذكرة عندما ابتاعت فستانا جديدا بما تبقى من راتبها

لم تجد ما يناسبها لقصر قامتها ورفعها النسبى ... بعد طول عناء وصلت للأنسب

فستان باللون الأبيض به ورود حمراء ... أصرت على شرائه حتى عندما لم تجد مقاسها

أخذته بلهفة ودفعت ثمنه ... لم تقدر على الانتظار ... توجهت مباشرة لمحل للخياطة

تريد ارتداء الثوب غدا لتكيد صديقاتها به

أعطت الثوب للرجل تشير للمساحات التى يضيقها

أنهى عمله وارتدته لتجده مازال متسعا ... لكن ولطبيعتها الخجلة التى تكرهها بشدة لم تخبره أن يعيد تضييق الثوب ... خافت أن يسخط عليها

رضت بالثوب كما هو وخرجت من المحل مكسورة الخاطر

لكن تلك القطرات الهابطة من السماء واستها ... كأن الله أدخل السعادة على قلوب البشر لتسعد هى

ومن لا يسعد بهطول المطر؟!

تصنعت الهدوء والرزانة ولكن داخلها تلعن من حولها الذين يمنعونها من الركض تحت المطر

أفاقت من ذكريات الأمس لتتحرك مرة أخرى بتعثر حتى وجدت ضالتها:

- هووووف أخيرا لاقيتك ... ليه ميعملوش دبابيس كبيرة نلاقيها بسرعة وتنكمش لما إيدينا تمسكها

وضعت يدها تحت ذقنها تفكر فيما قالته حتى انتقلت اليد تعنف الجبين علها تصل لذلك العقل الأبله

استخدمت ما بيدها مما يطلقون عليه (الدبابيس) تحاول جاهدة لتصليح ذلك الثوب

زفرت براحة بعدما انتهت

تحركت للجانب قليلا تلته بالجانب الآخر تتطلع للمرآة بإعجاب :

- آاااااه يلهوى عليا وعلى سنينى البيضة المنقطة إسود

نطقتها بفزع .....تأخرت نصف ساعة عن عملها

ارتدت الحجاب بعناية وسرعة معا حتى لا يضيع مجهودها بالخروج بأبهى طلة

الكاتبة/ إسراء الزغبى

ركضت لباب بيتها الصغير البسيط تفتحه وتغلقه بلهفة

هبطت مسرعة على السلم لتصدم بذلك الحائط

تراجعت للخلف بتأوه مستعدة للسباب حتى ابتلعت ريقها وهى تجد جارها الوسيم المخيف

ضحك زياد عليها بخفوت يعلم مدى خوفها من بنيته الضخمة

- هههههه مالك متخافيش كدة

احمرت وجنتاها احراجا تجيب:

- آسفة

حك مؤخرة عنقه بتوتر من نبرتها الرقيقة

- آاا لا ولا يهمك محصلش حاجة

أومأت بخفوت متمتمة:

- طب عن إذنك

- آه اتفضلى اتفضلى

تخطته بارتباك حتى خرجت من العمارة السكنية

تطلع لأثرها بإعجاب مبتسما بخفوت:

- والله لولا خايف عليكى من الحتة الزبالة دى مكونتش فضلت فيها ونقلت

لمكان أحسن

صعد لأعلى حيث شقته المقابلة لشقة تلك الطفلة بنظره

دلف بهدوء فوجد والدته تقرأ بكتاب الله

اقترب منها وقبل جبينها لتغلق القرآن تحتضنه بلهفة:

- كدة يا حبيبى بقالك يومين متكلمنيش أنا اتصلت بزمايلك وكلهم قالولى لسة فى المأمورية ... لو أعرف إنى هترعب كدة كنت ولا أنا ولا أبوك قدمنالك حربية

قبل يدها بحنان مربتا على رأسها:

- معلش يا ماما بس يا ستى الحمد لله المأمورية خلصت خلاص وأخدت أجازة يومين

عبست بتذمر من كلماته:

- يومين بس إيه ... أنا عايزة أسبوع على الأقل أشبع منك

- هههههه أسبوع إيه يا ماما

زفرت بضيق سرعان ما ابتسمت لتخفف عن وحيدها:

- طب ادخل يا عين أمك غير هدومك وارتاحلك ساعة على ما أحضرلك الفطار

- حاضر يا ماما

تحرك لغرفته يشعر بكامل جسده محطم ... سقط بعنف على الفراش ليغرق فى

سبات عميق دون تغيير ملابسه حتى

استيقظ بكسل متثائبا ... أصبح ينام كثيرا تلك الفترة ... ابتسم بخفوت متذكرا زيارتها لحلمه ... يعشق اليوم الذى تأتى إليه بأحلامه

نهض وقد تبدل حاله للنشاط بعدما تذكر مودته ... ارتدى ملابسه مسرعا ... شعر بالحزن لتأخره ... بالتأكيد وصلت لمكان عملها حيث مطبعة والده ... يجب أن يذهب حالا عله يعوض الوقت الذى ضيعه بنومه بدلا من الذهاب مبكرا لرؤياها

ارتدى الملابس الأنيقة كعادته ووضع عطره النفاذ ... نظر لنفسه بإعجاب خلال المرآة

أخذ متعلقاته واتجه للخارج ليجد والديه يتناولون إفطارهم

- السلام عليكم

- وعليكم السلام ... برضو سهرت وصاحى متأخر

ضحك على كلمات والده مردفا:

- يا حاج فارس ما إنت عارف كنت بقرأ هو بعمل حاجة وحشة لا سمح الله

أعقب كلماته بغمزة لتتحدث ناهد والدته باستنكار:

- يا واد ... يا واد مش لايق عليك الشغل ده ... بلاش تحاول تبين إنك قليل. الأدب زى الأبطال الهبل بتوعك إحنا فى الواقع يا حبيبى

وهنا تحدث والده بنبرة ذات مغزى:

- بص يا محمد ... الروايات يا حبيبى آه حاجة حلوة بنهرب بيها من الواقع لكن ... منخلطش بينها وبين الواقع ... فى فرق ... الرواية هتعيش فيها يومين تلاتة لكن الواقع لأ ... ده اللى هتعيش فيه طول عمرك ... لازم تتعلم كويس تفصل بينهم ... ما تخليش شخصيات رواية تأثر على شخصيتك ... مش عشان رواية بطلها جرئ تحاول تجرأ نفسك ... لإن هيفضل جواك الإنسان المحترم اللى إحنا ربيناه ... هتفضل طول عمرك إنسان واقعى حتى ولو جواك مش من برة ... متخليش الروايات تأثر عليك

تصنع الضحك متحدثا:

- هههههه يا بابا إنت اللى بتقول كدة ... ده إنت عندك مطبعة لطبع كل الكلام ده ومكتبة من أكبر المكتبات فى البلد كلها

عض والده شفته محركا رأسه بتفهم

- وده اللى أنا بقولهولك ... برغم إنى بعيش وسط الروايات دى لكن عمرى ما اتأثرت بيها ... يعنى مثلا عمرى ما استنيت أدخل ألاقى ناهد مليالى البيت شمع ولا لبسالى فستان بألوفات

دى رواية يعنى الكاتب هيطلعلك الليلة بأجمل صورة ليها لكن إحنا واقع ...

والواقع بيقول فلوس الفستان الغالى ده البيت أولى بيه ... إن لو شمعة من دول وقعوا هنتفحم كلنا .... ده مثال بسيط

لازم متخليش الروايات تاكل مخك

عقد حاجبيه بتفكير بكلمات والده التى لم تقنعه يوما:

- طب وطالما كدة بتطبعهم ليه؟!

ابتسم والده بتهكم متحدثا بعملية:

- ببساطة ده شغلى ... باكل منه عيش ... مش ذنبى إن فى أهالى مبيوعوش ولادهم ... مش هخليك إنت وأمك تشحتوا عشان أهالى مش واعية ... وبعدين محدش جبرهم يقرأوا

جلس محمد على الطاولة بملامح غير راضية لكلمات والده المستبدة:

- بس كدة لما كل واحد يقول يلا نفسى كلنا هناكل فى بعض

رفع فارس حاجبه بضيق من مجادلة ابنه ليتحدث بصوت شبه مرتفع:

- فى فرق بين دلوقتى وزمان ... روحلى المكاتب وشوف كتب التنمية ولا الفلسفة ولا التاريخ ولا أى حاجة من دول وشوف الروايات

وقولى كدة عدد دول جمب دول ... الكتب مبقتش تأكل عيش الروايات اكتسحت كل ده ... وأنا طبيعة شغلى إنى أطبع اللى يجيلى واللى بيجيلى روايات أقولهم لأ مش هطبع

- طيب طيب يا بابا

نطقها بلا مبالاة لوالده مما أزعجه:

- إنت بتاخدنى على قد عقلى يا واد ولا إيه

تحدثت ناهد أخيرا مربتة على كتف ابنها بحنان:

- ما خلاص بقى يابو محمد الله سيب الواد يفطر ... وإنت يا حبيبى إحنا عايزين مصلحتك

تطلع لوالدته بسخط :

- هو أنا أجرمت يا ماما بقرأ روايات عادى فيها إيه وأساسا بقرأ روايات حلوة وكمان ليها مغزى مش بضيع وقتى يعنى

تحدثت بمواساة لولدها الحبيب:

- طيب طيب يا حبيبى اهدى وافطر عشان تروح الشغل مع أبوك

أومأ متناولا طعامه وقد عكر مزاجه بأحاديثهم المعتادة

لما لا يقدرون هوايته ... يعشق الروايات ... يعشق أن يسبح ببحورها... يعشق أن يغوص بكل حرف بها

جاءت كلمة عشق بباله لتأتى مودة بقلبه وعقله

الكاتبة/ إسراء الزغبى

يتحرك بسيارته متجها لشركته الصغيرة الخاصة وهو شارد بعائلته

لا يريد الحياة معهم ... يقيدونه دائما خاصة والده المتسلط ... يتحكم بكل شيء ... يريد تنفيذ الجميع لقراراته حتى ولو خطأ

ووالدته التى لا تكف عن النواح والبكاء من عائلة والده

مشكلات عديدة بذلك البيت الذى يعيش به عائلة الوالد بأكملها

لو يترك والده المنزل ويبتاع منزل آخر لهم فقط فقد يفكر بالعودة إليهم

ولكن ليست تلك المشكلة فقط

ماذا عن شركته ... عائلته تسكن بإحدى الدول الأوربية

لن يتخلى عن شركته التى تعب ليصل إليها من أجل عائلة مفككة سيظل بمصر حتى ولو عاش وحيدا

هنا وتذكر أحمد ابن العم الذى يسكن بنفس المدينة ... لكن لم يزر أى منهم. الآخر يوما ... كل مشغول بحياته الخاصة ... وللحق يعجبه ذلك ... فلطالما كان أحمد ذا شخصية مرحة جذابة ... يأخذ الأضواء منه ... يهتم به الجميع ... كما أنه أصغر سنا ... فكان يجب أن يرعاه دوما

شهق بصدمة يشعر بتلك الاهتزازة العنيفة بسيارته

أفاق من شروده ليجد جسد ملقى أمامه

خرج مسرعا من سيارته واتجه للجسد فوجد فتاة فاقدة الوعى

ظهرت علامات الفزع على وجهه ... تطلع حوله وحمد ربه لعدم وجود أحد أو انتشار دماء

حملها مسرعا واتجه لأقرب مشفى يدعو ربه ألا تموت ... سيدمر مستقبله لا محالة

وصلت للمطبعة الضخمة فدلفت بهدوء متجهة لعملها

تصنتت لكلمات البعض عن جمال ثوبها فرفعت رأسها بخيلاء وفرح طفلة تمنت لو تقفز أمامهم كالأرنب ليشاهدوا الثوب من جميع الجهات

لكن للأسف عيب عليها لا تستطيع فعل ذلك

اتجهت لمكتبها بفخر فهى تشرف على العمل هنا بجانب بعض الأشخاص. الآخرين

جلست بهدوء بتلك الغرفة التى تحتوى على أكثر من مكتب لتنتبه لكلمات نادية:

- اش اش اش ... إيه يا بت الحلاوة دى

ابتسمت بفرحة عارمة:

- حلو؟ ... جيبته امبارح

- جيبتيه منين

قالتها منة زميلتهم بالعمل

تصنعت التفكير وعقدت حاجبيها:

- امممم يووووه مش فاكرة أصلى لفيت كتير لما أفتكر هقولكم

رفعت الفتاتان حاجبيهما بتهكم وعادا للعمل

همست لنفسها بغيظ:

- قال أقولكم قال ... داهية فيكم وفى لبسكم الحلو ده أنا ما صدقت جيبت طقم أحلى منكم

سمعت حديث أحدهم فرفعت رأسها تجاه الصوت:

- معلش بتقول حاجة يا أستاذ أحمد

تحدث زميلهم بالغرفة :

- كنت بقول الطقم حلو تعيشى وتدوبى

تحدثت مبتسمة بخجل وفرح:

- ربنا يخليك

اندمج الجميع بعملهم سريعا قبل عودة فارس مديرهم الصارم

دلفت لغرفة ابنها توقظه لكن لا حياة لمن تنادى

تحدثت سعيدة ببعض من الصراخ:

- يا زيااااد

انتفض فزعا من نومه يتحدث بتوتر:

- فى إيه؟!

عنفت نفسها لما فعلته بابنها وتحدثت بأسف:

- معلش يا حبيبى والله كنت بصحيك عشان تفطر

مسح وجهه بيده ليفيق:

- لا ولا يهمك يا ماما هغير هدومى وآجى أفطر

- طيب يا حبيبى يلا قوم اوعى تنام

- حاضر

تنهد براحة بعدما طمأنه الطبيب عن حالتها ... استطاع اقناع الطبيب أنها سقطت على قدمها لذلك كسرت

تركه الطبيب ليزفر بعنف ... أكان ينقصه تلك الفتاة أيضا ... تكفى مشكلاته الدائمة مع عائلته

دلف للغرفة حتى يعتذر منها ... اقترب بهدوء عاقدا حاجبيه لسماع شهقات

خافتة ... اقترب أكثر وأكثر حتى لمح وجهها

ابتسم بخفوت ... يبدو عليها صغر السن ... ملامحها تبدو هادئة جميلة مريحة للعين

نفى برأسه سريعا لأفكاره ... الفتاة تبكى وأنت تفكر بماذا؟!

حمحم عله يجذب انتباهها وقد كان

رفعت رأسها ببطئ نحوه والدموع عالقة بعينيها وقد تمرد البعض ليعلق برموشها الكثيفة

حاول عدم الشرود ليتحدث بنبرة حانية:

- متعيطيش معلش والله مخدتش بالى بس أنا هعوضك وهدفعلك مصاريف المستشفى كلها

ضغطت على شفتيها لتمنع نفسها من البكاء لكن باءت محاولتها بالفشل فانفجرت بكاءا

ظهر الحزن على ملامحه لانهيارها

- طب ... طب اهدى طيب ... إنتى اسمك إيه ؟

- وردة

قالتها بتهدج ليتسمر مكانه ببلاهة:

- احم ... عندك كام سنة؟

شهقت بخفوت مجيبة وتنظر ليديها :

- ١٨

رفع حاجبيه بصدمة متحدثا:

- يااه صغيرة أوى ... طيب بيتك فين أوصلك ليه؟

تطلعت إليه ببلاهة سرعان ما انكمشت ملامحها بحزن وبكاء

- معنديش بيت

- إزاى؟!

نطقها بتعجب لتجيب:

- أنا كنت عايشة فى ملجأ من وأنا صغيرة بس انهاردة كان آخر يوم ليا فيه ومشونى ومش عارفة حد ... أنا عمرى ما خرجت من الملجأ غير للمدرسة وبس معرفش حاجة تانية

تعاطف معها ليتحدث مواسيا

- طيب اهدى ... بصى أنا اسمى سارى وعندى ٢٧ سنة وصاحب شركة بشتغل فيها و...

شهقت واضعة يديها على فمها مردفة:

- حضرتك أنا لسة صغيرة مبفكرش فى الموضوع ده دلوقتى آسفة

- آسفة!!

نطقها بتعجب من حديثها سرعان ما اتسعت عيناه صدمة بعدما فهم مقصدها

- احم احم لا هو...

تحدثت بكبرياء ينافى انهيارها بكاءا منذ قليل:

- حضرتك قلتلك مبفكرش فى الموضوع ده وعيب كدة احترم رغبتى ... أنا لسة صغيرة على الجواز والمسئولية

- امممم

همهم مبتسما بصدمة مما تقوله ليتحدث بداخله:

- يخربيت هبلك جواز إيه إنتى بتفهمى بالمشقلب ... بس ما هو إنت اللى غبى برضو يا سارى إيه اسمى سارى وعندى كذا وكذا أكيد هتفكر كدة ... كان لازم يعنى تقول كدة ما تقول وخلاص أنا سارى وممكن أساعدك ... طب أعمل إيه فى الليلة البيضة دى ... ما هو بصراحة مش هينفع أحرجها ... بص الحمد لله هى رفضت خلاص قفل على الموضوع ولا كإن فى حاجة

- بص أنا هفكر فى الموضوع وبعدين أقولك

جحظت عيناه ذهولا يكاد يضرب وجنتيه حسرة

- ولا أقولك لا لا مش موافقة خلاص

ارتفع حاجبه تعجبا واستنكارا منها ليتحدث أخيرا:

- هو إنتى الجوزاء

ظهرت الشراسة على وجهها فجزت على أسنانها

- ومالهم الجوزاء

ضحك ببلاهة مجيبا :

- أحسن ناس حد قال حاجة ... طيب المهم ... إيه رأيك تيجى معايا البيت ... وقبل ما تقلبيلى وشك أنا مش عايش لوحدى فى طباخ والدادة اللى مربيانى من صغرى فى البيت غير البواب طبعا ها موافقة

عضت شفتيها بحيرة مفكرة بحديثه ... يبدو عليه الرقى والاحترام ... بالطبع لن يؤذيها ... لا لا يصح أن تذهب معه ... لكن ألم يقل أنه يوجد غيره بالمنزل

تطلعت لملامحه المنتظرة بنفاذ صبر لتتحدث سريعا

- ماشى على ما أشوفلى شغل

ابتسم بخفوت مطمئنا إياها:

- بصى أنا معنديش مانع تفضلى قاعدة فى البيت عندى فمتستعجليش على الشغل اهتمى بدراستك ... إنتى دخلتى كلية

نفت برأسها :

- لا مش دخلت لسة بس مجموعى جاب تجارة

نطقتها بخزى وحزن ليتحدث بمرح مخففا عنها:

- لا لا لا إحنا كدة هنقطع على بعض أنا خريج تجارة برضو بس عارفة يا بت

لو فتحتى شركة وقعدتينى فى البيت

ضيق عينيه مشيرا إليها باصبعه بتحذير وتهديد مصطنع لتنفجر ضحكا على ملامحه:

- هههههه لا لا متقلقش ... بس بجد أنا عايزة أشتغل مش لازم كلية دلوقتى

أومأ بتفهم وجلس بجانبها على الفراش متحدثا بهدوء:

- طب بصى أنا مليش إخوات وعيلتى عايشة برة ومليش زمايل فإيه رأيك تكونى زميلتى

أومأت بسعادة ليكمل حديثه:

- والزمايل مفيش بينهم فروق يعنى خلينى أساعدك هقدملك على الكلية وأساعدك لغاية ما تقفى على رجلك ولو مصرة على الشغل ممكن أبقى أخليكى تدربى فى الشركة ها موافقة

أومأت مرة أخرى بسعادة حتى تحدثت بحذر:

- طب ليه كل ده؟!

رفع كتفيه وأنزلهما ببساطة:

- معرفش بس إنتى شبهى وحيدة ومحتاجة حد يسندك فأنا أسندك وإنتى تسندينى

ابتسمت بفرحة تستشعر وجود شخص حولها يخاف عليها لأول مرة

أفاقت على اقترابه منها يحملها من الفراش لتشهق بخفوت وخجل

فابتسم على خجلها :

- هههههه ما هو مش هنقضى اليوم كله هنا ... هوصلك للبيت وأروح شركتى أنا عشان تطمنى إن فى حد فى البيت

ابتسمت بخفوت مستسلمة له ليتحرك بهدوء للخارج

- السلام عليكم

قالها محمد للجميع لكن نظراته كانت لها هى فقط

- وعليكم السلام مستر محمد

ردد الجميع السلام بينما اتجهت نادية إليه بلهفة وابتسامة

- إزيك يا مستر جيت متأخر إنهاردة

بادلها الابتسامة يتطلع كل ثانية لمودته عله يرى الغيرة بعينيها

- معلش بقى مشاغل

أومأت له بابتسامة بلهاء ثم عادت لمكتبها محمرة الوجنتين

اتسعت ابتسامته يرى علامات الضيق على وجه محبوبته لينتبه لكلمات صديقه

أحمد

- ياعم هتفضل واقف يا تقعد يا تشوف شغلك بدل ما أبوك ينفخنا

- هههههه ملكش دعوة بأبويا ياض

رفع أحمد يداه كمن يعلن استسلامه

- طبعا يا ريس براحتك

انفرجت شفتيه لكلماته بينما انفرج قلبه لرؤياها ... هادئة كالمعتاد

حمحم بإحراج لوقفته تلك حتى تحدث مبتسما:

- ما شاء الله طالعة حلوة انهاردة يا وردة

اكتسى الأحمر وجهها وجاءت لتتحدث لتسمع كلمات منة الضاحكة

- هههههه إيه يا مستر محمد قصدك كانت وحشة قبل كدة

- ها

نطقها ببلاهة يشعر بوقوعه بمأزق ... إن تغزل بها قد يكشف حبه ... وإن صمت قد يحزنها ... بل بالتأكيد

أخذ نفسا عميقا محاولا الهدوء بإجابته

- الجمال اتخلق لمودة

اتسعت ابتسامتها مظهرة فرحتها العارمة بإجابته بينما رفعت منة حاجبيها بخبث

انكمشت ملامح نادية حزنا لتغزله بمودة بينما لم يتغزل بها يوما

- ده من ذوقك يا مستر

نطقتها بخجل وفرحة لم تستطع مداراتهما لتتسع عيناها بإجابته

- مفيش ذوق ولا حاجة!

أردف ببلاهة مبتسما ببراءة حتى عقد حاجبيه بتعجب من تحديقهم به

جحظت عيناه هو الآخر صدمة بما نطقه ... آاه تلك المودة تظهر الجانب الأبله به ... يرتبك أمامها دوما حتى كلماته تصبح بالية

تطلع لكل شيء حوله حتى اتجه مسرعا للخارج

ارتفعت ضحكات الجميع عليه لتتحدث منة بخبث تغمض إحدى عينيها وتفتحها

- إيه ... حاسة إنى بتقرسط

تحدثت نادية ببعض من الامتعاض

- ركزى فى اللى فى إيدك بس يا منة بدل ما مستر فارس يطردنا كلنا

- هييي حاضر ياختى

ابتلعت ريقها بتوتر متجاهلة كلماتهما وانشغلت بالأوراق بيدها بينما نهض أحمد وذهب وراء صديقه

وصلا للمنزل وجاء ليحملها فدفعته بخجل وهدوء

- لا اسندنى بس

تفهم إحراجها فأمسك يدها ووضع الأخر على ظهرها متمسكا بها

تحركت متألمة من تلك الطريقة لكن عاندت

ألمها أرحم من خجلها

وصلا للمنزل الضخم فتوقفت برهة فاغرة فاهها من جمال ما تراه

لوهلة شعرت بالسعادة حتى حطمه قلقها وخوفها

تراجعت عن قرارها فاخذت خطوة للخلف

عقد حاجبيه متعجبا

- هو فى حاجة

زفرت بقلق مردفة:

- بص شكرا على مساعدتك أنا هعرف أتصرف كويس ... سلام

تمسك بظهرها ويدها مانعا إياها من الحركة ثم قادها للداخل وسط ممانعتها الضعيفة

أجلسها على الدرج أما باب المنزل

أومأ بتفهم قائلا:

- طب اصبرى لحظة وجايلك

دلف للداخل وهى تراقبه بتوتر وارتباك تبتلع ريقها خوفا

دقائق ووجدته عاد ومعه امرأة كبيرة بالسن

تقدما منها ليبدأ بتعريفها عليها

- دادة تهانى ... هى اللى ربتنى ومعايا من سنين وعايشة معايا ... ها اطمنتى

تبادلت النظرات بينهما بتوتر لتتحدث المرأة بحنان:

- متقلقيش يا بنتى أنا موجودة دايما وفى عمك عبد الله راجل كبير قد جدك ومبيقعدش هنا ليه بيت جمب الفيلا يعنى مفيش غيرنا

عضت شفتها السفلى بتردد لكن نظراتهم الدافئة جعلتها توافق

ابتسم بخفوت وقلبه يقفز فرحا ... اقترب ليسندها فنهضت مسرعة تمسك بيد تهانى

تراجع بإحراج وأخفض رأسه كما فعلت وردة

ابتسمت تهانى بخفوت عليهما وأسندت الفتاة للداخل وهى تتحدث

- يلا يا سارى روح الشركة اتأخرت جامد

حك مؤخرة عنقه يزم شفتيه بأسف لا يعلم على ماذا

- طيب

تحرك تجاه السيارة معطيا ظهره لظهرهما

تحركت راسها للجانب قليلا تنظر إليه بابتسامة خافتة لاحظتها تهانى لتدعو أن يتحقق ما ببالها

تناول طعامه ليتحدث بخجل

- ماما كنت عايز أطلب منك طلب

تنبهت له جيدا ونظرت له منتظرة إكمال حديثه

تشجع من نظرتها ليتحدث مبتسما:

- أنا معجب بمودة اللى فى الشقة قدامنا وكنت عايز أتقدملها

الكاتبة/ إسراء الزغبى

امتعضت ملامحها قليلا متحدثة

- لا يابنى ده إنت ظابط ملو هدومك تاخد بنت لوا ولا حاجة كبيرة مش واحدة شغالة فى مطبعة

اقترب من والدته محاولا استمالتها

- يا ماما يعنى أنا لاقيت ... معجبنيش ولا واحدة غيرها والبنت محترمة مبنسمعش عنها حاجة وحشة وإنتى كنتى عارفة والدتها الله يرحمها ... عمرنا ما سمعنا عنهم كلمة وحشة ... يبقى ليه مش موافقة

تنهدت فتحية عدة مرات:

- يا حبيبى البت محترمة ومقولتش حاجة بس متساعدش على العيشة يا بابا ... أنا عايزالك واحدة حسب ونسب تكون مسنودة عشان لو وقعت تلاقى اللى يسندك ... لكن مودة يادوب بتكفى نفسها

عقد حاجبيه بضيق ليتحدث مرة أخرى برجاء محاولا استمالتها:

- بالله عليكى يا ماما والله أنا معجب بيها ... طب بصى خلينى أخطبها ... ولو محصلش اتفاق يبقى كل شيء نصيب ... لكن هترفضى هتفضل فى دماغى ومش هعرف أخطب غيرها

ضغطت على شفتيها مفكرة بكلماته حتى اقتنعت أخيرا برأيه:

- طيب يا حبيبى ... نروحلها امتى

انشرح قلبه واتسعت ابتسامته فرحا بموافقتها وسيطير فرحا إن وافقت مودة أيضا:

- انهاردة ... نروحلها انهاردة

ظهرت علامات الاستنكار على والدته تتحدث بتعجب:

- انهاردة إيه يا واد ... بدرى كدة طب خلينى أروحلها الأول نمهدلها الموضوع

نفى برأسه رافضا رأيها تماما

- لا لا نروحلها انهاردة المغرب تكون خلصت شغلها وارتاحت شوية

زفرت بشدة من تمسكه برأيه لتتحدث باستسلام:

- ماشى يا ابن بطنى ... وهروح لأم إيمان أخليها تظبطلنا تورتة حلوة كدة ندخلها بيها

- ماشى يا ماما

نطقها بفرحة عارمة وقبل رأس والدته ثم عاد لغرفته يرتاح قليلا

الكاتبة/ إسراء الزغبى

- اصبر ياض

نطقها أحمد بمرح لذلك الذى احمر إحراجا

تحدث محمد بابتسامة لإخفاء خجله:

- عايز إيه يابنى ... روح شوف شغلك

أمسك وجنتاه يلاعبها كالأطفال مردفا:

- بتحمرى يا بيضة

أزاح يده بعنف متحدثا بضيق مصطنع:

- خلص ... آه صحيح عملت إيه فى الشقة

- ما ده اللى جيت أقولهولك ياخويا ... الراجل مصر يستلم الشقة وينهى العقد وبصراحة شكله لبط فبلاش مشاكل هسيبهاله وأروح لسارى وأمرى لله وكدة كدة عمى هيكلمه انهاردة قبل ما أروحله

غمز بعينه مبتسما بشقاوة متحدثا:

- طب إيه ملقاش السكرتيرة اللى تخطف قلبه ولا إيه هههههه

- هههههههه

ضحك أحمد بمرح حتى اختفت الابتسامة رويدا رويدا وهو يردف:

- والدتك اشتكتلى يا محمد ... بتقولى حالك مش عاجبها ... بقيت منعزل أوى تروح من الشغل تحبس نفسك فى الأوضة وهاتك يا روايات

تنهد ناظرا بلامبالاة لما حوله حتى تحدث بابتسامة سمجة:

- ماشى

هز رأسه بيأس من صديقه:

- ماشى ماشى يا محمد

غيّر محمد مجرى الحديث:

- المهم خلينا فيك ... ما قولتلك من الأول ابن عمك يبقى غنى ورايح تأجر شقة ... كنت من الأول توفر فلوس الإيجار وتعيش معاه

تحدث بتبرير وانفعال:

- يا عم كنت عايز أعملى كيان لوحدى بس الحمد لله الواضح البلد دى مينفعش معاها غير الواسطة والسند بس

ربت على كتف صديقه يمنحه الدعم حتى أزاح يده سريعا يضعها بجيبه بخيلاء نافخا صدره بفخر:

تطلع أحمد إليه بتعجب حتى ابتسم بخبث بعدما وجد مودة تتقدم ناحيتهم همس لمحمد بابتسامة ماكرة:

- عيش يا صاحبى

الكاتبة/ إسراء الزغبى

تطلع إليه بضيق ونظرات محذرة فتحرك أحمد لمكتبه بلا مبالاة

تقدمت إليه حتى مثلت أمامه لتبدأ الحديث:

- مستر محمد فى ميل وصلنا من دار ---- ومستر فارس مش فى مكتبه

- طيب وريهونى

قالها بابتسامة اختفت بعدما تحدثت مودته:

- هبعته لحضرتك على الميل يا مستر

تحدث بلهفة مسرعا:

- لا لا مش مستاهل هاجى أشوفه

- طيب

نطقتها بتعجب لتتقدمه متجهة لمكتبها وخلفها محمد وقلبه النابض

جالس أمام مكتبه بيده بعض الأوراق حتى ارتفع رنين هاتفه

نهض ملتقطا إياه من أعلى مكتبه ليجد والده المتصل

أجاب فورا:

- السلام عليكم... إزيك يا بابا

- الحمد لله يابنى ... وإنت عامل إيه فى مصر كويس

- أيوة كويس الحمد لله ... خير فى حاجة

- لا يا حبيبى كل خير بس أحمد ابن عمك حصلت مشاكل فى الإيجار وقولتله يعيش معاك ... إنتو ولاد عم وتشيلوا بعض

زفر بعنف من ذلك الخبر ليتحدث باستسلام:

- ينورنى يا بابا هييجى امتى

- انهاردة هيخلص شغله ويجيلك

- تمام هروح بدرى عشان يلاقينى

- طيب يا حبيبى يلا عايز حاجة

- لا يا بابا تسلملى

- سلام

- سلام

أغلق الهاتف يعود للأريكة جالسا عليها بشرود ... أغمض عينيه مفكرا بحديث والده ... ذلك الأحمد المرح ذو الهالة الخاطفة للقلوب سيعيش معه

اتسعت عيناه بعدما تذكر وردة ... أكان ينقصه ذلك أيضا ... ألم يجد أى منهما وقتا يظهرا به غير الآن

حاول التركيز بما بين يديه من أوراق ينهيها بسرعة ويعود لمنزله ليُعلم تهانى ووردة بقدوم ابن العم

تجلس على المقعد تتطلع للحاسوب تقرأ ما بالرسالة بصوت عال بينما يقف بجانبها شارد بها

لاحظت منة نظراته لتبتسم بمكر وفرحة بأحاديث ستخوضها لأسابيع!

بينما ظهر الحزن بملامح نادية رمشت عدة مرات حتى استاعدت روحها فانتبهت لعملها

- بس كدة

أفاق من شروده على كلمتيها ليشعر بالحرج فلا يعلم ما قالته حتى تحدث باحراج:

- معلش شكلى مصدع وتعبان مركزتش ابعتيلى الميل على حسابى وهبقى أقرأه

أومأت له وهى تنهض بسرعة مردفة:

- استنى فى حباية للصداع هناك هجيبهالك

تحركت للأمام قليلا حتى توقفت مذهولة بما حدث

لم يستطع إكمال عمله ... يأتى برأسه مائة بل ألف موقف لما سيحدث إذا سبقه أحمد لمنزله

لا يعلم لما لكن قلبه ساخط على مقابلته الحتمية لوردة .. بالتأكيد سيخطف قلبها!

جمع أوراقه سريعا وخرج من الحجرة متجها لبيته

أشرد كل ذلك الوقت؟!

تطلع حوله ليجد نفسه أصبح أمام منزله

هبط من السيارة واتجه للداخل

فتح الباب وكاد يدلف حتى تذكر وجودها ... ضغط على زر الجرس وانتظر قليلا ثم دلف للداخل

سار خطوات قليلة حتى وجدها متجهة ناحيته سرعان ما توقفت:

- احم ... كنت جاية أفتح ... ماما تهانى قالتلى أشوف مين

قالتها بخجل وابتسامة ليبادلها إياها

حك خلف رقبته قليلا حتى وجد تهانى قادمة:

- ده إنت يا سارى ... مالكم واقفين كدة ليه ما تدخلوا

أومأ بهدوء ليتقدموا للداخل ... كانت ستصعد لغرفتها لكن إصرار تهانى أن تجلس معهم أردعها عن قرارها

جلسوا على الأريكة بصمت تام قطعته تهانى:

- ألا صحيح إيه جابك بدرى كدة يابنى

أجاب قائلا بفتور:

- أحمد ابن عمى جاى انهاردة يا دادة

انقلبت ملامحها للضيق ... رائع أصبحت تعيش مع شابين أيضا!

لاحظ ملامحها المتضايقة ليتحدث بتفهم:

- وردة متقلقيش هو كويس وأعتقد إنك عارفة إنى كويس مش هنأذيكى وماما تهانى معانا أهو

أومأت بإحراج لكلماته فهو غير مجبر للتبرير ... بالنهاية هذا منزله ... يدعو ويطرد من يريد

الكاتبة/ إسراء الزغبى

توقفت بصدمة تستشعر ذلك الصوت الحاد الرفيع

انكمشت ملامحها مانعة نفسها من البكاء

نظرت للثوب فوجدته قد عاد لاتساعه

تلك الدبابيس اللعينة تحررت من الثوب الألعن لتسقط أرضا معلنة عن صوت حاد كضربات قلبها الحزينة

تطلعت للفتاتين والشابين حولها بإحراج ... انتفخ وجهها بالكاد تمنع عينيها من البكاء

باءت محاولاتها بالفشل بعد ارتفاع ضحكات منة ونادية عليها

تحدثت نادية بسخرية للثأر لقلبها:

- هههه دى طلعت جلابية ولا إيه دى هههه

- هههه بس يا نادية عيب هههه يلهوى شكلك مسخرة

- بس يا منة بقى الله هههه

زمت شفتيها وانتفخ وجهها بعدما هبطت دموعها ... يبالغون بردة فعلهم ... الثوب ليس بذلك السوء وهو متسع ... لكنهم لا ينفكون عن عشق إحراجها

اتجهت لمكتبها تأخذ حقيبتها لتخرج لكن توقفت على من أمسك يدها بحنان توقفت متطلعة للأرض ليقترب منها هامسا بأذنها:

- كنتى قمر ودلوقتى بقيتى قمرين

رفعت وجهها تتطلع إليه بصدمة ليعلو صوته متعمدا إسماعهم:

- والله الواحد نفسه يليق عليه كل حاجة زى ما بيليق عليكى

ابتسمت بفرحة وهى تشهق بخفوت ليكمل حديثه:

- مش عارف أقولك ارجعى ضيقيه فتبقى حلوة وتتعاكسى ولا تسيبيه كدة وتحلوى أكتر وبرضو تتعاكسى

ابتسمت أكثر وأكثر ليعنفها قلبها حتى تضحك ... فضحكت رغما عنها

تحدث بابتسامة نابعة من قلبه فعينيه فشفتيه:

- طب والله ما إنتى مكملة اليوم ... محدش هيعرف يشتغل بجمالك ده ... يلا يلا على بيتك

دفعها برفق للخارج لتتحرك بسعادة تكاد تقفز فرحا

خرجت من الغرفة فتطلع للفتاتين بغضب

تحدثت نادية بغضب مكبوت:

- مكنش قصدى يا مستر أنا هعتذرلها

نهضت راكضة للخارج بينما تنهد محمد واتجه لغرفة مكتبه

فتح باب شقته ودلف للداخل وجد والدته جالسة وإمارات الخوف على وجهها

اقترب منها لتنهض مسرعة بعدما لمحته

- كنت فين يا زياد ينفع كدة يابنى تقلقنى عليك آجى من عند أم إيمان ملاقيش حد فى البيت

- معلش يا ماما كنت بعرف الواد جميل لما مودة تيجى يطلع يقولنا

- هههههه يخيبك مش قادر تستنى ماشى ياخويا المهم إنت نمت

- أيوة بس هدخل أريح كمان شوية

- طيب يا حبيبى نوم الهنا

الكاتبة/ إسراء الزغبى

- مودة ... يااا مودة

توقفت تزفر بعنف وغضب ... استدارت لتلك الشمطاء تجيب بقرف:

- عايزة إيه نادية

رفعت نادية حاجبها بغضب لتجيب بخبث:

- أبدا بس مستر محمد قالى أقولك كلمتين يجبروا خاطرك زى ما هو عمل

- إيه؟ يجبروا خاطرى؟!

نطقتها بصدمة لتكمل نادية حديثها:

- قالى كدة وحياتك ... قالى أقولك إنك حلوة فى كل حالاتك عشان متسيبيش الشغل ... أصل إنتى شاطرة فى الشغل ... فبيقول ناخدك على قد عقلك هههه ... بييه عليا شكلى عكيت

ابتلعت ريقها بصعوبة وأعطتها ظهرها شبه راكضة للخارج دمعاتها تتسابق

تطلعت نادية لأثرها وقد امتعضت ملامحها مؤنبة نفسها:

- تؤ ... شكلك زودتيها يا نادية ... بس ما هى اللى عمالة تتمايص عليه ... أما تيجى نبقى نراضيها بكلمتين أنا ومنة وخلاص

مرت ساعات وانتهى الدوام وكل بحالة مختلفة

محمد سعيد بتطور العلاقة قليلا بينهما

أحمد استعد وأخذ متعلقاته متجها لمنزل ابن عمه

سارى ينتظر ابن العم ويحاول أن يصفو قلبه وينسى تفضيل أحمد عليه دائما

لم تستطع مودة العودة لبيتها فذهبت لبيت الله تجلس به مغمضة العين حتى أحست بالراحة

زياد ينتظر بشوق أن تعود مودة ليذهب إليها

سمع طرقات الباب فاتجه بلهفة إليه

فتحه فوجد ولد بعمر التاسعة تقريبا لتنفرج ملامحه فرحا وتحدث بلهفة:

- ها يا جميل جت

- أيوة يا عمى ... أول ما شوفتها داخلة الشارع طلعت جرى أقولك

أخرج بضع عملات فضية من جيبه وأعطاه إياهم ليأخذهم الولد فرحا هابطا الدرج

أغلق الباب واتجه لوالدته لتستعد:

- يا حبيبى طب اصبر البت تاخد نفسها

تحدث سريعا بعيون متسعة:

- لا لا يا ماما خلينا نروح علطول قبل حتى ما الدنيا تليل

- طيب يابنى

وصل للمنزل الضخم يتطلع إليه بانبهار

انتظر سماح البواب بالدخول حتى دخل

ما إن اقترب من الباب وجده يفتح ويخرج منه شاب أنيق

حرص سارى على اختيار أفضل ما عنده ليقابله

احتضنا بعضهما بابتسامة يتحدثان بحدود

دلفا للداخل فقابلته تهانى التى استقبلته بالأحضان

كان أحمد ابنها الثانى ... ربته كما ربت سارى

سمع صوت هبوط شخص الدرج فرفع رأسه ليجد فتاة جميلة حمراء الوجنتين تطلع سارى لأحمد ثم لوردة التى مثلت أمامهم بضيق

ابتسمت تهانى تعرفهم على بعضهم قائلة:

- وردة ده أحمد ابنى التانى ... أحمد أقدملك يابنى وردة قريبتى

ابتسمت لها وردة بامتنان لتقديمها كقريبة لها

تعرفا على بعضهما وسارى يكاد يحترق غيرة ... استطاع ذلك الأحمد بمرحه إخراجها من قوقعتها ... لأول مرة سمع صوت ضحكتها العالية المرحة

حمحم لجذب انتباههم فتطلعوا إليه ... نظر لكل منهم ببطئ حتى ابتسم يشاركهم الحديث محاولا الخروج من قوقعته هو الآخر

دلفت لمنزلها وما إن جلست على الأريكة حتى سمعت صوت طرقات الباب

نهضت بهدوء مقتربة من الباب غير عابئة باتساع ثوبها ... فليقولوا ما يقولوا

فتحت الباب لتجد العملاق ووالدته

ابتسمت باتساع مرحبة بهم:

- إزيك يا عمتى عاملة إيه ... تعالى اتفضلى

أخذتها فتحية بالأحضان مقبلة وجنتها وهى تستشعر جسدها مبتسمة بإعجاب

عقدت مودة حاجبيها بتعجب وإحراج من فعلتها حتى أفاقت:

- اتفضلى ... اتفضل يا أستاذ زياد

أومأ مبتسما يتقدم هو ووالدته للداخل

أشارت للأريكة فجلسوا عليها

رفع العلبة أمام وجهها مقدما إياها ... اخذتها متعجبة ووضعتها على الطاولة مبتسة بشكر:

- إيه لزومه التعب ده بس

- لا مفيش تعب ولا حاجة

نطقها بابتسامة منيرة من فرط فرحته لتبدأ والدته الحديث:

- بصى يا مودة يا حبيبتى ... أنا أعرفك إنتى وأمك من لما كنتى فى اللفة ... وبصراحة زياد كبر وما شاء الله عليه ظابط قد الدنيا وبكرة يترقى

ومش هلاقيله أحسن منك تكونى عروسة وبنتى ... وكله بالأصول يا حبيبتى ... فإحنا طالبين إيدك لابنى زياد

جحظت عيناها صدمة بما تنطق تلك المرأة ... زواج ماذا؟

ظلت صامتة بصدمة لتشعر فتحية وزياد بالإحراج

ابتسمت فتحية بخجل مرددة:

- طب يا حبيبتى الوقت اتأخر نسيبك بقى تفكرى وإن شاء الله ناخد الموافقة منك

ظلت تتطلع إليهما بصدمة حتى أفاقت على نهوضهما فانتفضت كمن لدغتها أفعى

شعرت بالتوتر لتتحدث ببعثرة لحروفها ممثالة لبعثرة روحها:

- آاا ... طب .. ها ... احم ... طب اقعدوا شوية تشربوا حاجة

نفت فتحية متحدثة:

- لا يا حبيبتى نبقى نشرب شرباتكم يارب ... متتأخريش فى الرد يومين كدة نلحق نجيبلك الشبكة ونعمل خطوبة قبل ما يسافر

أومأت متحدثة بتردد:

- يو ...يومين بإذن الله وهرد عليكى يا عمتى

امتعضت ملامحه يستشعر رفضها ... تحدثت والدته:

- طيب يا حبيبة عمتك عايزة حاجة

- عايزة سلامتك

مكتبة/ إسراء الزغبى

احتضنا بعضهما ثم أوصلتهما للباب

ما إن خرجا ودلفا شقتهما حتى أغلقت الباب

استندت عليه رافعة وجهها تنظر للسقف المشقق ... هبطت دمعة وحيدة كحياتها تماما ... لا تعلم ما يجب فعله ... لا تعلم ما القرار الواجب اتخاذه ... أتوافق عليه أم لا؟ ... وماذا عن محمد؟ ... معجبة به ... معجبة بشخصيته ... بقلبه الحنون ... بمرحه

أتنتظر أن يبادلها الإعجاب؟ ... أم تذهب لنصيبها؟ ... أتنتظره أم تتركه لأجل جارها الخلوق؟

أغمضت عينيها بقسوة علها تصل للقرار المناسب .. قررت إلغاء قلبها ... قررت إلغاء مشاعرها ما إن جاءت بذاكرتها كلمات نادية

يشعر بالشفقة ناحيتها لا أكثر ولكن قد يكون أقل ... لن يكون نصيبها يوما ... وحتى لو كان ... فهل تقبل عائلته بها

فتحت عينيها على الدنيا فأدركت الواقع ... النصيب هو قدر كل فتاة ... ستوجه كل مشاعرها لزياد

من يحلم بزوج مثله ... ضابط بمرتب عال ... والدته امرأة متدينة مهما قست فلن تجور على حقها

تنفست بعمق واتجهت لغرفتها تبدل ثيابها وهى عازمة على ما قررت

أشرقت الشمس تعلن قدوم يوم جديد

يجلسون على الطاولة يتناولون الطعام بهدوء ليبدأ سارى الحديث:

- وإنت هتفضل شغال فى المطبعة يا أحمد

أجاب وهو يتناول طعامه بهدوء:

- أيوة بصراحة مرتبها حلو ويكفينى

- بس ميكفيش عيلة

قالها بلامبالاة ليتطلع أحمد لوردة الصامتة وهو يجيب:

- لا يكفى لو مسكنا إيدينا أنا ومراتى شوية المطبعة كبيرة ومستر فارس بيدينا مرتب حلو ... وبعدين مراتى بإذن الله هاخدها بتشتغل أو أدورلها على وظيفة نساعد بعض ولما نخلف يبقى ربنا يحلها

- امممم ... بس الست ملهاش غير بيت جوزها ... مش متفق معاك إنك تشغل مراتك

قالها بعقدة حاجب ممزوجة ببعض العصبية عندما لاحظ نظراته لوردة

أجاب أحمد ببساطة:

- أنا مش هشغلها طبعا فى مكان لوحدها لأ هخليها تشتغل معايا ... منة مخطوبة وأكيد هتسيب الشغل ممكن أكلم مستر فارس يشغل خطيبتى معايا ونبقى مع بعض

زفر بعنف مردفا يجز على أسنانه:

- ومالك بتقولها أكنك مخطط وعارف اللى هتخطبها

ابتسم أحمد بإعجاب متطلعا لوردة التى لاحظت نظرته فأخفضت رأسها بخجل:

- وليه لأ؟!

انتفض سارى ناهضا بعنف حتى كاد يسقط المقعد

تطلع لأحمد ووردة المتعجبان لثوان حتى دخلت تهانى عليهم وبيدها طبق:

- إنت قومت ليه يا سارى ده أنا لسة بحطلكم بقية الفطار

أجاب جازا على أسنانه ومازال مصوب نظراته الحادة لأحمد الذى بدأ يتناول طعامه بهدوء:

- لا يا دادة شبعت الحمد لله

- طب يا حبيبى خد مع...

- يا دادة شبعت والله

نطقها بتعجل وهو يتجه للخارج

خرج من غرفة الطعام حتى توقف فجأة ... عاد مرة أخرى للداخل ليسمع صوت ضحكات وردة

قبض على يده بعنف وتحدث بصوت شبه عال:

- تعالى يا أحمد أوصلك للشغل بدل بهدلة المواصلات

أومأ أحمد باستحسان للفكرة غير واع لمقصد ذلك المشتعل غيرة

أيعتقد أنه قد يتركه معها وحدهما؟! ... يحلم بالتأكيد

خرجا من الغرفة وتهانى تنظر لأثرهما بابتسامة تدعو الله لهما بالحماية

بينما وردة تطلعت لهالة سارى التى ترافقه حتى بمشيته ومرح أحمد وهو يحاول مجاراة ذلك الضخم بمشيته

ابتسمت بخفوت وعادت بنظرها للطبق تتناول فطورها متحدثة مع تهانى

الكاتبة/ إسراء الزغبى

دلف للمكتب فعقد حاجبيه عندما وجد الجميع عداها هى

حمحم بخفوت مجمعا كلماته:

- أومال مودة فين؟

أجاب أحمد بابتسامة:

- إنت متعرفش ... اتصلت بمستر فارس استأذنته تغيب انهاردة وبكرة وجه عرفنا ووزع شغلها علينا

عقد حاجبيه بخوف يتحدث بتوتر:

- ليه هى تعبانة لا قدر الله

رفع أحمد كتفيه وأنزلهما موضحا عدم درايته بشيء

أومأ محمد باستسلام متجها للخارج يلعن نفسه لعدم أخذ رقمها يوما ... وبالطبع لن يطلبه من والده أو صديقاتها

تطلعت نادية لأثره بحزن ... تنهدت مقررة ترك كل شيء بيد الله ... إن كان من نصيبها فسيأتى إليها

تحرك خارج المكتب فسمع نداء أحمد له
توقف متطلعا إليه بتعجب حتى وقف أحمد أمامه
سحبه معه لمكان غير ظاهر للعين ... أخرج شيئا من ملابسه ورفعه أمام عينه

اتسعت عينا محمد فرحا وهو يلتقط الكتاب بسعادة:
- يابن اللعيبة عرفت تتصرفلى أهو

تحدث أحمد بفخر:
- أول ما طبعوا الكتاب عرفت أتفق مع حد فيهم يطبعلى واحد زيادة ... ومتقلقش محدش هيلاحظ بس اوعى الكتاب يقع فى إيد حد إحنا داخلين على المعرض ودى أول نسخة مش عايزين مشاكل

ربت محمد على وجنة صديقه بمرح:
- متقلقش يا كبير
- مش عارف أبوك صاحب المكان كله ومش قادر تقوله هات نسخة لا بتصدرنى أنا
نطقها أحمد بتهكم ليجيب صديقه:
- يا عم أبويا هيفضل يسمعنى محاضراته ومش هيرضى يدينى وبصراحة بقى

لو الموضوع اتكشف آخرك يتخصم منك وأنا هرجعلك اللى يتخصم لكن أنا تبقى نصيبتى سودة

ظهرت إمارات الاقتناع على وجه أحمد ليقول:

- طيب ... على العموم قرأت الرواية وبصراحة فيها شوية رومانسية ومحن حاجة قرف يعنى وقال إيه واحد اغتصب واحدة ومع ذلك حبته لأ وخلفوا كمان وعايشين بسعادة

تطلع محمد إليه بغضب مردفا:

- حرقتلى الرواية يحرقك ... بس هقرأها برضو ... يلا أنا رايح أشوف شغلى وإنت كمان شوف شغلك

قالها وهو يبتعد بعدما وضع الكتاب بثيابه يخفيها جيدا

تطلع أحمد لأثره ضاربا يديه ببعضهما:

- الواد ماشى ولا كإن معاه مخدرات

نائم الجسد على سريره واعى العقل مفتوح العين

يشعر بالتوتر ... لم يعجبه توترها أمس ... لم يعجبه ردة فعلها ... يستشعر عدم قبولها

نهض واتجه للمرحاض توضأ ثم خرج يصلى ويدعو الله

ما إن أنهى صلاته حتى وجد الباب يدفع ووالدته تدخل يصحبها تلك العادة المصرية عند الفرح

عقد حاجبيه يتحدث بتعجب:

- بتزغردى ليه يا ماما

- مودة واقفت يا حبيب أمك لسة مخلصة معاها كلام

قالتها بفرحة وهى تتجه إليه تحتضنه بمحبة

اتسعت عيناه غير مصدق لما تقول

ثوان وارتفعت ضحكاته فرحا يبادلها الاحتضان

ابتعد فجأة وهو يتجه للخزانة ينتقى أفضل ما يملك ليرتديه وهو يتحدث:

- ماما البسى بسرعة واتصلى بيها عرفيها إننا جايين دلوقتى نتفق

تحدثت والدته بتهكم ممزوج ببعض الفرح:

- متقلقش ياخويا عارفة إنك مجنون قولتلها كدة ... زمانها بتلبس أنا هروح ألبس أنا بقى

تحدث وشفتيه مبتسمة بفرحة كعينيه اللامعة من البهجة:

- تسلمى يا ست الكل بس عايزين الخطوبة والشبكة قبل الأسبوع ده

ما يخلص ... إنتى عارفة هسافر الأسبوع الجاى

- حاضر يا عين أمك

قالتها بسرور متجهة لغرفتها بينما استمر هو فى انتقاء ملابسه بفرحة

كان شاردا بها ... تلك الطفلة الشابة ... لا شيء يدوم بحياته

ستتركه بالتأكيد ... ستذهب لذلك الأحمد ... دائما ما يتركه من يتعلق بهم ... وهى ستفعل ... لن يبقى له سوى تهانى ... والدته الثانية

أمسك هاتفه مفكرا لدقائق حتى اتخذ قراره

وضعه على أذنه يستمع لصوت الرنين ... ابتسم بسعادة بعدما سمع صوتها الرقيق

- احم ... إزيك

عقدت حاجبيها بتعجب سرعان ما أجابت بإرتباك:

- آه ... قصدى الحمد لله ... خير محتاج حاجة

أغمض عينيه بإحراج حتى أردف وهو يتطلع لكل شيء حوله كأنها ماثلة أمامه

فيتهرب من عينيها:

- لأ عادى كنت بطمن بس ... محتاجة حاجة قبل ما أقفل

أردفت بسرعة ولهفة:

- هو أنا هفضل كدة كتير ... قصدى يعنى مش هشتغل

ضغط بإصبعيه أعلى أنفه بين عينيه وهو يجيب:

- حاضر يا وردة هتصرفلك فى شغل ... بس تخلصى على الأقل تقديم للكلية وتعدى الترم الأول ... تاخدى على نظام الكلية وبعدها هشوف

تحدثت بامتعاض ورفض تام:

- لأ أنا عايزة أشتغل من دل...

اعترض طريق كلماتها من شفتيها:

- وردة ... أرجع ونشوف

زفرت باستسلام مردفة بيأس:

- طيب ... سلام

- سلام

الكاتبة/ إسراء الزغبى

أغلق الهاتف يضعه على المكتب

أرجع ظهره مستندا على المقعد مغمضا عينيه بشرود

- يبقى خلاص يا حبيبتى ... زياد ياخدك بكرة يشتريلك فستان الخطوبة ويومين بالظبط ونجيب الشبكة ... عايزين الخطوبة الجمعة الجاية

أومأت لها بخجل من نظرات زياد لها ... لأول مرة تلاحظ حنان عينيه تجاهها ... رأت لمعة حب بعينيه لتخجل

استأذنت فتحية لتنهض هى وابنها

- ليه مستعجلين خليكوا شوية

- لا يا حبيبتى نسيبك بقى تجهزى

تحدث زياد بتنبيه:

- زى ما اتفقنا يا مودة تتصلى بمديرك تعرفيه إنك سيبتى الشغل

أومأت بابتسامة مجيبة:

- حاضر هتصل بيه دلوقتى

بادلها الابتسامة وهو يتجه للخارج مع والدته
راقبت دخولهما شقتهما بابتسامة حتى أغلقت الباب بهدوء

ظلت واقفة قليلا كأمس لكن بحالة مختلفة ... تشعر بالراحة ... تشعر بوجود السند ... تشعر بقرب انتهاء التعب والمشقة ... وأخيرا سيكون لها بيت لا تتركه ... مسئولة عن منزلها وزوجها مسئول عنها بدلا منها

اتجهت للأريكة ملتقطة هاتفها تتصل بفارس

ثوان وأجاب ... استمرا دقائق بالكلام البسيط يطمئن على حالتها حتى تحدثت:
- مستر فارس ... خطوبتى الجمعة الجاية بتمنى تشرفنى حضرتك والعيلة
ابتسم باتساع مباركا لها:
- ألف ألف مبروك يا مودة ... هحاول والله هو للأسف صعب إنتى عارفة داخلين على المعرض بس هحاول إن شاء الله

ترددت قليلا حتى تنفست بعمق ثم تحدثت:
- طيب حضرتك خطيبى مش موافق أشتغل ويعنى أنا ... أنا

ابتسم فارس بتفهم مردفا:
- طيب يا مودة متقلقيش يا بنتى خلاص ابقى تعالى بكرة خدى حق اللى

اشتغلتيه ومبروك تانى يا بنتى

تحدثت بحرج وحزن:

- الله يبارك فى حضرتك ... معلش والله مش بإيدى

تنهد متحدثا ببساطة:

- دى حياتك يا بنتى وبصراحة أحمد كان مكلمنى على واحدة قريبته عايز يشغلها معانا وقولتله بعد ما منة تتجوز

لكن خلاص هخليه يجيبها تشتغل

أومأت بابتسامة ممتنة لا تعلم لمن:

- شكرا يا مستر فارس

- العفو يا بنتى

- حضرتك عايز حاجة

- عايز سلامتك

- مع السلامة

- سلام

أغلقت معه وتنهدت براحة لتقفز عدة مرات ... الأمور أسهل مما تخيلت

ضربت جبينها معنفة نفسها تتحدث:

- يادى الغباء ... بكرة رايحة أجيب فستان الخطوبة مع زياد

تنهدت بقلة حيرة حتى أضافت بلامبالاة:

- خلاص نخليها مع الشبكة بقى ... المهم أروح آخد الفلوس وربنا يستر و الوديعة تكفى جهازى يارب

ولا نجيب الفستان بعد ما أروح المطبعة؟ لا لا يوم تانى وخلاص مش هبقى قادرة

_____

كان جالسا بمكتبه يقرأ الرواية وقد أنهى نصفها تقريبا

مندمج مع الأحداث حتى وجد الباب يفتح

تطلع لمن دخل عاقدا حاجبيه بضيق لقطع أفكاره حتى ظلت معقودة لكن بتعجب

- مالك ياض ياحمد هترقص ولا إيه

تقدم أحمد بمرح يكاد يرقص حرفيا

جلس على المقعد أمام محمد يتحدث بفرح:

- أنا قررت أخطب وردة اللى حكوتلك عنها ... والحمد لله اتحلت وأبوك كلمنى دلوقتى أجيبها تشتغل وقرش منى على منها نتجوز وأشترى بيت ولا أجره حتى

ابتسم محمد بفرحة لصديقة ونهض محتضنا إياه:

- مبروك يابو حميد ... بس هى منة مش قالت هتتجوز على كمان سنتين

تحدث أحمد ببساطة:

- لا دى مودة خطوبتها الجمعة الجاية وسابت الشغل

تصنم مكانه كمن ضرب بصاعقة ... بدأ العرق يهبط غزيرا ... شعر بالهلاك حرفيا ... تطلع لأحمد بعدم تصديق يتمنى أن يخبره بمزاحه

بينما ذلك الأحمق اتسعت عيناه ذهولا ... فرحته بنفسه أنسته صديقه وحبه لمودة ... كيف ارتكب تلك الفعلة الغبية المشينة

اقترب من صديقه بتوتر محاولا الحديث ليتوقف بعد كلمات صديقه:

- اطلع برة يا أحمد

نطقها محاولا التماسك وهو ينظر لأحمد بإصرار

أومأ أحمد بحزن واتجه للخارج ومعه الهم بعدما دلف بالسرور

ما إن أغلق الباب حتى ضرب محمد مكتبه بقبضة يده
أسقط كل ما على المكتب بغضب ... احمر وجهه وعيناه
سقطت الدموع كالدماء

أغمض عينيه محاولا الوصول لحل ... لكن لم يجد
ماذا يفعل؟... كيف يتصرف؟... أيذهب يعنفها؟ ... أيخبرها بحبه؟

لا ... بالتأكيد تحب ذلك الحقير الذى تجرأ لخطبتها ... وإلا ما وافقت عليه

تطلع لذلك الكتاب الذى كان بين يديه وأصبح على الأرض
أغمض عينيه ليستمع لصوت صديقه داخل عقله:
(واحد اغتصب واحدة ومع ذلك حبته لأ وخلفوا كمان وعايشين بسعادة)

ظهرت ابتسامة مخيفة على شفتيه وقد وصل لما يريد

انتهى الدوام وعاد كل لمنزله
كانوا يتناولون الغداء بهدوء حتى وجه أحمد الحديث لوردة:
- احم وردة ... إنتى كنتى عايزة تشتغلى صح

اتسعت عيناها فرحة غير مصدقة لتجيب فورا:
- أيوة أيوة ... عايزة أشتغل

ابتسم بشدة وقد قرر الإعلان عن كل مخططاته اليوم بعد موافقتها تلك ... جاء ليتحدث حتى توقف إثر كلمات سارى

استمع سارى لكلماته بلا مبالاة ... متيقن من رفضها ... فهى تنتظر وظيفة مرموقة يوفرها هو لها

تحطمت آماله بعدما وافقت بحماس وفرحة ... قرر التدخل أخيرا فتحدث بعصبية لم يستطع حبسها داخله:

- هو إيه ده أيوة ... أنا مش قولتلك تدخلى الجامعة وتخلصى الترم وهشغلك

تطلعت إليه بتعجب ممزوج باستنكار:

- معلش وأنا مش هفضل مستنية ... أنا محتاجة شغلانة فى إيديا

- عندها حق بصراحة يا سارى

قالتها تهانى باقتناع

ابتسم أحمد موافقا إياها يردف:

- وكمان الوظيفة اللى هتجيبها يا سارى هتكون محتاجة مؤهلات عالية أكيد وهى لسة مدخلتش جامعة لكن شغلانتى سهلة وبالتدريب ... بصى يا وردة أنا بشتغل فى مطبعة ومكتبة فى نفس الوقت وليها اسمها وكلمت صاحبها ... هتيجى تشتغل معايا شغل بسيط مش محتاج حاجة وشوية شوية هتتعودى لغاية ما هتبقى حاجة تافهة بالنسبة ليكى والمرتب تحفة بصراحة على شغلانة زى دى وده غير إن ليكى مرتب ثابت ... هو نظام غريب شوية بس جميل ... مستر فارس صاحب المكان مخصصلنا مرتب أكنك موظفة حكومية ... ها نقول مبروك

- طبعا

قالتها بحماس شديد ... تلك فرصة لن تعوض أبدا

نهض سارى بعنف غير راض لحديثهم:

- اعملوا اللى تعملوه

تحرك لخارج الغرفة لكن أوقفه حديث أحمد الذى كسر ما تبقى بداخله:

- احم ... بالمناسبة دى كنت طالب إيد وردة منك يا دادة

التفت متطلعا إليه بذهول مما يحدث ... كيف يطلبها للزواج ... لما دائما يسبقه بخطوة ... تطلع لوردة وخجلها بحزن ... لا شيء بدوم ... ليته ما تعلق بها

ابتلع ريقه بصعوبة يستمع لتهليل تهانى وفرحها بذلك الخبر وهى تقبل وردة بحنان

كانت تستمع إليه بسعادة ... اليوم يوم حظها ... زوج وعمل بتفس الوقت ... ماذا تريد أكثر من ذلك؟!

وعند ذكر أكثر من ذلك خطفت نظرات قصيرة لذلك المتسمر مكانه

ماذا عنه؟ للحق بدات تنجذب إليه؟ ظنت أنه سيطلب يدها مرة أخرى ... لكن لم يفعل

حائرة ... اتسعت عيناها بعدما توصلت إمكانية ذهاب فرصة عملها إن رفضت الزواج

ابتلعت ريقها تفكر بهدوء ... حسنا هو شاب جيد ... مهذب ... مرح ... لما الرفض؟!

أفاقت على سؤال صاحب الهالة كما تقول دائما

شعر بالبرودة تسرى بكل أجزاء جسده حتى أطرافه

تطلع إليها يبتلع غصته مردفا:

- مبروك

كلمة واحدة أنهت ترددها ... كلمة واحدة جعلتها تصل للقرار

بارك لها ... لا فرصة معه ... إذن ... فلتستغلى تلك الفرصة الأخرى ... فلتوافقى وردة ... لن تجدى مثل أحمد ... من سيقبل الزواج منها وهى يتيمة ... من سيتقبل يتمها ووحدتها مثلما فعل أحمد عندما علم كل شيء عنها

أفاقت من شرودها لتسقط عيناها على من حولها

نظرات أحمد المنتظرة المتلهفة

نظرات تهانى الفرحة المباركة

ونظراته هو ال ... مخيفة ... لما يتطلع إليها بتلك الطريقة كمن قتلت له أحد؟!

أيعقل أنه يغار؟!

كيف يغار وهو من بارك لها للتو؟!

جفلت بعدما هزتها تهانى برفق متحدثة بسعادة:

- ها يا حبيبتى موافقة

عضت شفتها بخجل وصمتت غير قادرة على الحديث ليتولى أحمد الأمر:

- وردة صدقينى أنا معنديش أى مشكلة إنك اتربيتى فى ملجأ ... ومتقلقيش بإذن الله سنة بالكتير ونشترى شقة بعفشها وأنا هشتغل شغلانة تانية جمب المطبعة و الشبكة والعفش والجهاز كل ده نجيبه بالمشاركة واللى نقدر عليه

ها موافقة

دمعت عيناها فرحة بتخيل المستقبل وهى تعيش كزوجة مثالية وأطفالها حولها

صمتت قليلا حتى أومأت بخفوت ليبتسم أحمد باتساع وترتفع الأصوات الفرحة المهللة من تهانى

كان يراقب بصمت شديد ... ومتى كان يتحدث؟ ... متى كان محور اهتمام أحد؟

متى نال ما أراد؟

تنهد بخفوت وعمق يحبس حسرته بداخله

ابتسم جانب فمه وهو يتحدث بتهكم:

- مبروك يا أحمد

أجابت تهانى مسرعة بدعاء:

-عُبالك يا حبيبى يارب تلاقى بنت الحلال

تجاهل كلماتها ولم يرد اكتفى بابتسامة مرحة تخفى ألم ووجع غير محتمل

تحدث مرة أخرى بصعوبة لا يعلم كيف تحلى بتلك القدرة على الحديث:

- متشغلش بالك بسكن دلوقتى ... وفر فلوسك لشقة تشتريها لجوازكم ... خليكم قاعدين معانا لغاية ال ... الفرح وأهو ... تونسونا

احمرت وجنتها وتحدث أحمد محرجين:

- مش عايز أتقل عليك

ابتسم بتهكم من كلماته وهو يجيب:

- لا مفيش تقل ولا حاجة ... أنا رايح الشغل

اتجه للخارج مسرعا ... إن بقى دقيقة واحدة قد ينقض عليهما ضربا خاصة تلك الشمطاء

ما إن وصل لسيارته حتى أسند كفيه عليها يتنفس بعنف ثوان وكان يفرغ شحنة غضبه بالسيارة

ظل يضربها بقبضتى يديه وقدميه غير عابئ بالألم

يتمنى لو كان كل ألم سطحى يعالج

يتمنى لو يزول الألم الداخلى

جالس على الفراش مبتسم بحالمية حتى قطع لحظة الصفو رنين هاتفه أمسكه بانزعاج سرعان ما ابتسم باتساع مجيبا ولهفته تأكله:

- احم إزيك عاملة إيه؟

أجابت مودة بخجل:

- الحمد لله ... كنت اتصلت عشان ... مستر فارس قالى أروح بكرة آخد فلوس الشغل ... فياريت لو نأجل الفستان ليوم تانى ... أو نخليه مع الشبكة

أومأ بخفوت وحزن ... كان يأمل أن يخرج معها غدا ... أدرك عدم رؤيتها له ليتحدث بابتسامة:

- مفيش مشكلة

أومأت هى الأخرى مردفة:

احم ... طيب محتاج حاجة

عض شفته السفلى يريد الحديث لكن لا يستطيع ... تلك أول تجربة له ... لطالما كان مستقيما لم يتكلم مع الفتيات من قبل سوى للضرورة

أفاق على لسانه ينطق بتلقائية:

- عايز سلامتك

احمرت خجلا لتتحدث مسرعة:

- سلام

- سلام

نطقها زافرا بيأس وندم من إنهاء الحديث

أغلقت معه وهى سعيدة ... الأمور تجرى على ما يرام

مر اليوم كاملا وكل يفكر بطريقة مختلفة

هبطت من سيارة الأجرى لتتجه لداخل محل عملها سابقا

توقفت على تلك اليد التى سحبتها بعنف لتخرج صرخة مكتومة منها

التفت بفزع لمن سحبها لتجده محمد
تطلعت إليه بتعجب خاصة نظراته المظلمة

ابتسم بصعوبة ناطقا:
- بابا قالى إنك جاية تاخدى فلوسك

أومأت بخفوت وإحراج ليكمل حديثه بجمود:
- طب تعالى مفيش فلوس هنا هنروح الفرع التانى ناخد منه الفلوس

عقدت حاجبيها تعجبا مردفة:
- طيب مستر فارس قالى آجى ليه هنا
ظل يتطلع إليها بنفس الجمود وهو يقف بثقة ولم يتحدث

انتظرته ولكن ظل على صمته لتزفر بملل متحدثة:
- طيب خلاص هستنى حضرتك هنا على ما تجيبهم

نفى رأسه ببطئ مجيبا ببعض الحدة:
- أنا مش راجع هنا تانى تعالى أوصلك للفرع تاخدى فلوسك

ترددت كثيرا سرعان ما وافقت لتنتهى من ذلك الموقف
تلك ليست أول مرة تركب معه ... غالبا ما كان يوصلها إذا تأخرت فى العمل

اتجهت للسيارة تجلس بداخلها بهدوء
ركب هو الآخر مبتسما بانتصار

أغلق باب السيارة مستعدا لتدويرها ... تطلع إليها قليلا بشرود لتبادله النظرات متعجبة

عقد حاجبيه ... كيف سقط عقله وجسده بيد تلك الأفكار الخبيثة
تطلع للأسفل قليلا
فكر لثوان ... دقائق حتى قرر ... جاء ليرفع راسه آمرا إياها بالخروج
لتسقط عيناه على ذلك الكتاب أسفل قدميه
تمعن به فظهرت شبح ابتسامة على شفتيه متخيلا نهايتهما السعيدة

شرد قليلا بمستقبلهما ... شرد بها وبطنها المنتفخة تحمل جزء منهما داخلها
ابتسم ببطئ وأدار سيارته عازما لما قرره سابقا رافضا لما كان سيقرره حاليا

نهض من الفراش ... لا نستطيع القول استيقظ ... فمتى غفى حتى يفيق ... ظل ساهرا الليل يفكر بما حدث ... يفكر أكانت ستصبح نصيبه إذا بادر هو فى البداية؟

أكان هو مكان أحمد لو تشجع قليلا؟

خرج من غرفته متمنيا لو تخرج الأفكار من عقله بنفس السهولة

هبط للأسفل ليجدها تجلس وحدها على السفرة

جلس بهدوء بدون إلقاء السلام حتى

تعجبت لكن لم تهتم ... الصمت ... الصمت فقط لا غير

أخيرا قطع الصمت متحدثا:

- دادة تهانى فين؟

رفعت رأسها بلهفة لا تعلم لما ... تحدثت بتوتر:

فى الجنينة أصرت تجيب جرجير نفطر بيه وأحمد معاها بيساعدها

أومأ بسخرية وصمت مرة أخرى ... دقائق وتحدث بتنهيدة مزينة ببحة ألم:

- إنتى بجد موافقة

أغمضت عينيها عدة مرات بعدم فهم لسؤاله:

- هو ... هو أحمد شخص وحش

حرك رأسه نافيا مبتسما بوجع:

- لا خالص هو كويس

أومأت بهدوء تتطلع لطبقها ... لا تعلم لما رفعت عينيها تجاهه لتصدم بدمعة وحيدة تسقط من عينه

اتسعت عيناها كما فعلت شفتاها... أيعقل ما تفكر به؟

لا ... حتى التفكير لا مجال له ... لو أرادها ... لو أحبها؛ لطلبها

هزت رأسها مومئة بعنف كمن تقنع نفسها رغما عنها

أغمض عينيه كاتمة صرخة وجع بداخله ... فليرض بما كتب عليه

فليعش حياته ... فليبحث عن غيرها ... من خلقها خلق الكثير مثلها

لتغلق تلك الصفحة ... ابدأ صفحة جديدة ... محذوف منها التردد ... الخوف ... الاستهانة بالنفس

فتح عينيه مرة أخرى متوهجة بلمعة الأمل بدلا من الألم

تطلع إليها قليلا بتمعن ... كمن يراقبها للحظات ستنتهى ... ستنتهى قريبا جدا

دلف أحمد وتهانى والضحكات تصاحبهما
أغمض عينيه مرة أخرى .... وها قد انتهت اللحظات!

أوقف السيارة بمكان مقطوع لا إنس به
تطلعت حولها بخوف ناطقة بتوتر وفزع:
- هو ... وقفت ليه ... مفيش حد هنا ... الفرع لسة قدام

اقترب ويده تتحرك متجهة لوجهها
صرخت بفزع دافعة إياه بعنف تحاول فتح الباب لكن باءت محاولاتها بالفشل:
- ابعد عنى بقوووولك ... ابعععععد عنى

ظلت تصرخ تضرب مقبض الباب بعنف عله يفتح
وهو مازال مستمر بمحاولاته لملامسة وجهها

أزاحت يده بعنف تجرحه بأظافرها
تأوه بالم وأمسك رأسها بشدة حتى فُك حجابها

وضع يده على فمها كاتما أنفاسها وهو يميل عليها

احمر وجهها حد الاختناق ... جحظت عيناها ... أصبحت وجنتيها كالوادى تستقبل شلالات دموعها

اقترب أكثر وأكثر مبتسما لبداية حياته غير عابئا بنهايتها بنظر البعض

أربع سنوات

مرت أربع سنوات كاملة وتغير الكثير والكثير

تركض خلف الصغير الذى يزحف للخارج صارخة بضحكات مرحة:

- هههههه ... دووومى ... دووومى تعالا هنا حالا ... ياااابنى متتعبنيش ... أووووباااا

قالتها بمرح بعدما وصلت إليه لتحمله بمرح ترفعه لأعلى ليسقط بين يديها مرة أخرى

ترتفع أصوات ضحكاتهما المرحة

احتضنته لصدرها مقبلة وجنته المكتظة باللحم:

- كدة تتعب ماما معاك

بدأ بهمهماته الطفولية الغير مفهومة بينما هى تستمع إليه باهتمام تفهمه بمشاعرها الأمومية

أخرجها من دوامة سعادتها صوته المقزز الذى تكرهه وتتمنى لو تقطعه إربا لو كان ماديا ملموسا

لم تهتم به وجاءت تصعد درجات السلم بلا مبالاة حاملة ابنها آدم الصغير
اتجه إليها بخطوات عنيفة ليسحبها بما هو أعنف من خطواته
تأوهت بألم بعدما ضرب صدره الصلب رأسها بينما حمت رأس صغيرها بيدها
رفعت نظرها تتطلع إليه بكره ليجز على أسنانه غير متحملا نظراتها:
- جرا إيه مش سامعانى بقول مودة مودة مودة إيه اطرشتى

ظهرت علامات الاستخفاف على وجهها وهى تجيب:
- معلش ياااا مستر محمد مسمعتكش
زفر بعنف غيرمطيقا طريقتها التى لم تزل يوما:
- محمد ... محمد يا مودة ... اسمى محمد ... أنا جوزك ... داخلين على ٣ سنين جواز وبرضو بتقولى مستر
اقتربت بوجهها منه تجيب بغضب وأسنانها تصطك ببعضها:
- لازم ... لازم أقول مستر محمد ... عشان لو قلت محمد ... هفتكر اللى عملته فيا ... ووقتها قسما بربى أقتلك ولا يهمنى أيتم ابنى

اختنق إثر كلماتها الحارقة لروحه ليجيب بإعتذار:

- لامتى هفضل أتأسفلك ... والله العظيم بحبك يا مودة ... غصب عنى كنت عامل زى السكران مش عارف هو بيعمل إيه .... بس بصى ... أدينا فى الآخر مع بعض ومخلفين ابننا ... آدم ... الحتة المشتركة بينى وبينك ... وإخواته اللى هييجوا بعده

ضحكت بسخرية ضحكة قصيرة وهى تجيب بقهر:

- بجد ويا ترى هتجيبهم بنفس طريقة الاغتصاب المعتادة ... ولا يمكن تكون هتجدد فى الطريقة

قالتها بخفوت وكأنه سر لا تريد أن يكشف

زفر بعنف يائسا منها ... ترك يدها التى كان يمسكها بقبضته القاسية

اقترب مقبلا رأس ابنه التى أراحها على صدر والدته ... وكم تمنى لو يرتاح هو أيضا بأحضانها

اتجه للخارج ليسمع صوتها الحاد القوى الذى اكتسبته خلال السنون الثلاث:

- أنا رايحة العيادة أطمن على آدم السخونية مش سيباه

أومأ وهو مكمل طريقه للخارج

ركب سيارته التى قرر عدم تغييرها بعد تلك الحادثة الشنيعة

يريد دائما تذكر الجرم الذى ارتكبه بحقها ... ليست تلك الحياة التى تخيلها ... ليست تلك النهاية التى قرأها

وعلى ذكر القراءة

فتح شيء صغير بسيارته ليجد ذلك الكتاب بداخله

الرواية التى دمرت حياته وحياتها ... تلك كانت السبب بكل شيء

ابتسم بسخرية ... لقد أصبح نسخة أخرى من والده بل أسوأ ... الآن هو متعاقد مع من دمرت حياته

أدخل الرواية مرة أخرى يغلق ذلك الشيء عليها عله يحبس الشر الذى بها بداخل سيارته للأبد

جالسة على السفرة واضعة يدها على رأسها بهم مما يحدث

أين تذهب؟ لمن تلجأ؟ توفى ... توفى سندها ... توفى أمانها ... توفى زوجها الحبيب

ذلك الأحمد الذى كان لا يعيبه شيء ... ذلك من يطلق عليه نعم الزوج

سنة مرت على موته ... الحزن يخف ... الألم والجرح يتلائم بمرور الوقت ولكن لن تنساه أبدا

نهضت تتحرك بشقتها الصغيرة مفكرة ببكاء

أين تذهب ... ليتها لم تترك عملها ...ليتها أكملت تعليمها ... ليتهم اشتروا تلك الشقة بدلا من الاستمرار بدفع الإيجار فقط

الآن صاحبها مصر على استردادها ... ليس معها سوى وريقات من المال لا تفى حتى لدفع إيجار الشهر القادم

لمن تلجأ ... عائلة زوجها لا تريدها

وكيف تقبل بجاهلة عالة على الجميع أن تكون زوجة ابنهم؟!

أتذهب له؟!

لا لا مستحيل ... لا يجب أبدا ... كيف تريه وجهها ... كانت عبئا عليه منذ سنوات ... لن تكون عبئا مرة أخرى

ستحاول الاعتماد على نفسها ... أموال زوجها التى تركها لها انتهت ... فلتصنع غيرها

فلتبحث عن عمل من اليوم قبل انتهاء الشهر

علها تقنع صاحب الشقة بتركها شهر آخر وتدفع الإيجار له

ينتهى الشهر الآخر وتكون قد استطاعت العثور على غيرها

ذلك الحل الوحيد

دلفت للعيادة حاملة ابنها النائم باستكانة

اتجهت للداخل وحجزت دورها

جاءت تجلس بهدوء على المقعد حتى انتفضت كمن لدغها أفعى ... تطلعت لذلك الجالس أمامها يتطلع إليها بصدمة هو الآخر

ابتلعت ريقها بصعوبة وجلست مرة أخرى مقررة الهدوء ... فلتتصنع عدم

تذكره

احتضنت ابنها أكثر وأكثر كمن تحتمى به حتى استيقظ آدم متوجعا من خنقها له ليبدأ بالبكاء العنيف

شهقت بفزع تتطلع لصغيرها ... توترها وإرتباكها جعلها غير متقنة لدور الأ مومة ... كانت تحركه بارتباك وتعثر وأحيانا بعنف غير مقصود ليرتفع صوت صرخاته أكثر وأكثر

دمعت عيناها هى الأخرى لتتفاجأ بمن ترك تلك الطفلة التى تماثل عمر ابنها تقريبا على المقعد واتجه إليها بابتسامة لم تصل لشفتيه

أخذ آدم منها وهى ساكنة غير قادرة على الحركة أو الحديث

ما إن تمسك بآدم حتى تحولت ابتسامته المزيفة لحقيقية لامعة

ظل يهدهد الطفل بهدوء حتى هدأ بعد مدة ليست بالقصيرة

أعطاها إياه لتلتقطه ومازالت غير مصدقة لما تراه

احتضنت ابنها برفق تحركه بهدوء تراقب تراجعه للخلف يعود لمقعده المقابل لها

يحمل تلك الصغيرة الهادئة محتضنا إياها

قطع حبل النظرات المتصل بين عينيهما نداء المساعدة عليه:

- زياد محمد عطوى

جفل من نداء المساعدة لينهض ببعض التعثر حاملا صغيرته للداخل

تطلعت لأثره بتوتر واشتياق ... احتياج ... لا تعلم ... لكن مقابلته ألهبت مشاعر بداخلها لم تكن موجودة يوما من قبل تجاهه ... قد تكون القسوة جعلتها تدرك مدى حنانه واحتياجها لذلك الحنان

استمعت لصوت المساعدة وهى تقول:

- مدام مودة ... الحالة بعد أستاذ زياد استأذنت ومشت ... حضرتك هتدخلى بعد أستاذ زياد علطول

أومأت لها وعادت لشرودها مرة أخرى

استيقظ لينهض بكسل يتجه للحمام يتوضأ ويصلى

أنهى كل شيء وارتدى ملابسه ليتجه لأسفل

دلف غرفة الطعام وجلس بهدوء تحت نظراتها الحزينة

عم الصمت والسكون قليلا حتى تحدثت تهانى:

- يابنى ما تدور عليها

ابتلع ريقه بملل من حديثها الدائم ... منذ رأت صورها بغرفته وعلى هاتفه وهى لا تنفك عن حديثها

أكملت تهانى برجاء:

- يا حبيبى أحمد ربنا يرحمه مات ... طالما بتحبها روح لجيرانهم ... أكيد عارفين هم نقلوا راحوا فين

تحدث بنفاذ صبر مانعا نفسه من الإنفجار غضبا:

- دادة لو سمحتى خلاص

تنهدت بيأس من رده المعتاد لتبدأ بتناول طعامها محاولة تجديد أملها

بدأ الأكل وهو شارد بتلك الوردة المتفتحة ... لم يستطع النسيان ... تخيل بخطبتها سينساها ولم يقدر

تزوجت فظن أنه سينساها لكن لم يفعل شيء سوى أنه تناساها

أيام من زواجها وعاد الحنين ليقرر خطبة من تعوضه

فشل بعلاقتين ... لم يستطع تخيل أنه يضع خاتم زواج بيد أخرى

قرر الحياة على ذكراها حتى تهبط رحمة الله عليه

حزن بشدة بعدما علم وفاة أحمد لكن جزء صغير كان سعيد بذلك!

أخذ العزاء ولم يكلف نفسه بسؤالها عن محل إقامتها حاليا

فقد غيروه بعد زواجهم بشهر واحد

أخذ العزاء بالمسجد وتركهم

حتى عندما سلم عليها أسرع بسحب يدها من يدها

يخاف أن تسرق يده كما سرقت قلبه

أنهى واجبه واتجه لمنزله يقيد نفسه بغرفته عله ينهى أفكاره بأن يذهب إليها

يطلبها للزواج

ابتسم بتهكم كأنه يعرف مكانها ... ولن يسأل أهله أو من حولها

ابتلع ما فى فمه من طعام عل تلك الغصة تُبتلع ايضا لكن هيهات

خرجت من عند الطبيب وهبطت الدرجات حتى خرجت من المبنى ومازالت على حالتها من الشرود

كانت تسير ببطئ حتى استمعت لاحتكاك إطارات سيارة بجانبها

تطلعت للجانب بتعجب سرعان ما تحول لتوتر وهى تراه ينظر إليها بتمعن

أخيرا تحدث بنبرة شبه حادة:

- اركبى ... عايز أتكلم معاكى شوية

ابتلعت ريقها بخوف تنظر للسيارة وقد عادت ذكريات تلك الليلة المقززة بعقلها

نفت بعنف وحدة ليعقد حاجبيه مستغربا

تطلع حوله حتى وجد مقهى على بعد بضع مترات

هبط من سيارته واتجه للباب الآخر

فتحه وحمل ابنته ... تأكد من إغلاق السيارة جيدا والتفت متطلعا لتلك التى

مازالت ساكنة صامتة محلها

أشار بيده لمقهى قريب فتطلعت للمقهى لثوان ثم إليه لدقائق
أخيرا أومات له موافقة بهدوء ليسيران باتجاه المقهى
يتحركان متجاورين أحيانا تتخبط يداهما ليبعد كل منهما خاصته بارتباك

وصلا أخيرا للمقهى فدلفا بهدوء جالسين بإحدى الزوايا
ظلا صامتين لدقائق حتى بدأ الحديث بوجع مسته بصوته:
- ابنك صح؟ من آاا ... محمد على ما أتذكر
أومأت بهدوء وخزى وهى تتحدث مشيرة لتلك الصغيرة:
- بنتك؟
أومأ هو الآخر متحدثا بألم عميق:
- مودة
همهمت له ليستكمل حديثه منتبهة إليه فنفى برأسه متحدثا بابتسامة:
- هى اسمها مودة

نظرت له باتساع وصدمة ليحيد بوجهه بعيدا عنها
مرت دقائق أخرى ليتحدث ببعض من الهدوء:
- مامتها ماتت بعد ما ولدتها بحاجة بسيطة

نظرت إليها بتأسف لا تعلم ألوفاة زوجته أم لما فعلته

ابتلع غصته متحدثا بحذر:

- و ... ومحمد

تحدثت مبتسمة بتحسر:

- عايش

عقد حاجبيه متعجبا لحسرتها الواضحة وهى تنطقها ليتحدث أخيرا بقلة صبر:

- عايز أعرف إيه اللى حصل ... إيه اللى خلاكى ترجعى تقوليلى مش موافقة ... أنا كنت سايبك الصبح بتقوليلى نجيب الفستان مع الشبكة

إيه اللى حصل فى الكام ساعة اللى روحتى فيهم للشغل يخليكى تروحى ترفضينى

ظلت تتنفس علها تحافظ على هدوئها لتذهب محاولتها هباءا ما إن انفجرت بكاءا مقررة الحديث عما حدث بالماضى علها ترتاح

عادت لمنزلها بخيبة ... لم تجد عملا ... الجميع يرفض إما لتعليمها الغير مكتمل أو لأنها أرملة

لم يرحمها المجتمع للقب اليتيمة والآن لن يرحمها للقب المطلقة

انتفضت بفزع بعدما استمعت لطرقات الباب

اتجهت إليه بعدما عدلت حجابها تفتح الباب بخوف

وجدت صاحب الشقة أمامها ... ما إن رآها حتى بدأ يصرخ:

- بصى يا مدام ... مش هينفع كدة إنتى هضيعيلى السبوبة ... الراجل عايز الشقة من بكرة يعنى بالخلاصة تمشى دلوقتى

تحدثت بخوف وجسدها يتعرق خوفا:

- بس ... بس احنا لسة ٢٢ فى الشهر

تحدث الرجل بصراخ وغضب:

- ده على أساس سى الأستاذ أحمد جالى ١ فى الشهر ما إنتوا جايين ٢٢ يعنى انهاردة آخر يوم

عضت شفتها معنفة نفسها كيف نست ذلك ... اليوم ينتهى الشهر المدفوع ثمن إستئجاره

يا الله لا تملك المال لشهر آخر

تحدثت بتوتر ورجاء:

- طب بالله عليك ... يومين بس هتصرفلك فى إيجار الشهر

تحدث بطريقة مخيفة كمن هو مقبل على ضربها:

- نعم يا أستاذة متعصبيناش بقى ... اتفضلى امشى دلوقتى

تراجعت للخلف بخوف لتتحدث بتوتر:

- ط ... طيب هاخد حاجتى وهمشى

أومأ لها يتحدث بتهديد:

- بس قسما بالله لو لاقيت حاجة ناقصة من عفش الشقة هجيبك

- لا لا لا والله أبدا

قالتها بفزع ليتراجع للخلف يقول بنفاذ صبر:

- طب يلا مستنيكى تخلصى وتخلصينا

أومأت بخوف تغلق الباب بهدوء وحذر

اتجهت للداخل جريا تأخذ متعلقاتها

مر بعض الوقت وانتهت من كل شيء ظلت لدقائ تفكر إذا نست شيئا لتبتسم بحسرة وهل تملك شيء غير ملابسها وخاتم زواجها

أخذت الحقيبة تحملها بصعوبة وتعثر تتجه للخارج

فتحت الباب وخرجت مخفضة رأسها بذل

دفعها الرجل بوقاحة للخارج يحذرها من الذهاب الآن

دخل الشقة وهى واقفة على الباب

مرت ساعة وساقيها يصرخان ألما

أخيرا عاد الرجل يتحدث بابتسامة:

- تمام كل حاجة موجودة يلا بقى متعطليناش

اتجهت للخارج وقد تحررت دموع الذل والإهانة من عينيها

هبطت من البناية القديمة وهى لا تعلم أين تذهب وماذا تفعل ... رفعت رأسها للسماء حتى ابتسمت بسخرية

ستكون عبئا عليه كما كانت مسبقا!

جالس بمكتب والده رحمه الله سابقا ومكتبه حاليا

شرد بالماضى ... كلمات والده عن الواقع ... تحذيره المستمر من الوقوع داخل دوامة الخيال ويا ليته استمع لنصحه

اعتدى عليها بأبشع صورة ... أجبرها على الزواج منه وإلا لافتضحها ... لن ينسى نظرة الذل والكسرة بعينيها ... كان يعتقد أن كل شيء يهون أمام التنعم بقربها ويا ليته لم يعتقد

لا تنعم بقربها ... ولا ارتاح ببعدها

كيف يكتسبها ... خبرته الطويلة بما قرأه لم تفيده أبدا

كلما اقترب منها تتقزز مشمئزة كأنه وباء ... تهين رجولته فيهين أنوثتها بل آدميتها

يأخذها عنوة

لم ينسى شهور حملها الناتج عن اعتدائه المستمر ... استمرت لشهور تحاول قتل صغيرهم آدم

صغيرهم! لطالما كان صغيرها هى ... لطالما كان بأحضانها هى

لطالما أبعدته عنه خوفا عليه منه

أتخاف على الابن من أبيه؟!

أمال رأسه قليلا بألم ... يريد الصراخ ... يريد البكاء

ولكن بأحضان من يبكى؟

ليته لم يفعل كل ذلك

ليته عاش حياته

ليته انتظرها علها تعود إليه يوما

ليته لم يتعجل اللقاء

لم يستطع البقاء أكثر من ذلك ... نهض مسرعا آخذا متعلقاته متجها للخارج فليفعل شيئا جيدا بحياته ... فليصلح ما أفسده ... نعم فليفعل الحق ولو ليوم واحد سيذهب إليها ... سيعتذر منها ... سيغمرها بحبه ... سيطلب العفو إن وافقت أو ترددت فسيتمسك بها ويكون عون لها

أما إذا رفضت ... سيتركها

وضع يده على قلبه يشعر بنغزة مؤلمة لذلك الاحتمال

نعم سيتركها إذا رفضته ... سيعطيها حق الاختيار ولو ليوم واحد ... إن كانت له ستعود

وإن لم تعد فيكفى ابنهما آدم ... ما خرج به من تلك الدنيا

سيحافظ على الود بينهما

ابنه قارب على إكمال العام ... عام وراء عام ويصبح شابا قوى البنيان

كيف ستكون حالته ووالديه يعيشان كالغرباء بل الأعداء

دمر حياتها ولن يدمر حياة ابنه

اتجه لسيارته وركبها مسرعا

فلينفذ ما اتخذه

أدار السيارة يقودها بسرعة هائلة ... غير قادر على الانتظار ... يموت شوقا لرؤياها ومعرفة قرارها

سحب هاتفه يرسل رسالة لها ليعلم ما إن عادت من عند الطبيب

أنهت حديثها وشهقاتها تعلو وتعلو حتى تحولت لصرخات مكتومة

دمعت عيناه مما سمع ... ليته علم من البداية ... لا يعلم أكان سيستمر فى

خطبتهما

لكن ما يعلمه ... أنه وبلا شك كان سيرجع حقها

سقطت دمعة من عينه لما رأت محبوبته ... نعم محبوبته

طوال تلك السنوات علم أنه كان يحبها ... لم يكن مجرد إعجاب

أخرج محرمة من جيبه ومدها إليها بصمت

تطلعت ليده وشفتيها ترتعش

تذكرت عندما ذهبت إليه ترفض الزواج وانفجرت بكاءا أمامه

مد يده بمحرمة قماشية تمسح دموعها ودموعه تتساقط

أخذتها ... مسحت دموعها ... وجدت غيرها تهبط ... أسقطته وركضت للخارج

والآن ها هو يقدم محرمة لها

أخيرا وجدت من يمسح دموعها بدلا من إسقاطها

أخذتها بيد مرتجفة لترتجف أكثر وأكثر

تطلعت إليه بصدمة ... نفس المحرمة لم يغيرها

لن تنسى شكلها أبدا ... كانت مميزة ... تتذكر كل إنش بها

تطلعت له تارة وللمحرمة تارة لتنفجر بكاءا مرة أخرى

تحدث باختناق:

- مجاتليش الجرأة أرميها ... فضلت عاينها ... هههههه حتى عمرى

ما استعملتها ... كنت حاسس إنها هتنشف دموعك تانى ... مش عارف ليه بس ... احساس

أومأت ببكاء تجفف دموعها متنفسة بعمق علها تهدأ

تنهدت عدة مرات لتتحدث مغيرة الموضوع:

- العيال ناموا

تتطلع لمودة وآدم ليجدهما نائمان على المقعد محتضنان بعضهما معطيان رونقا وجمالا وهالة بريئة

ابتسم بحب عليها ثم عاد يتطلع إليها بنفس الحب:

- مقولتليش ليه

تنهدت بارتجاف حتى بأنفاسها مجيبة:

- كنت خايفة من الفضيحة ... ولما ... لقيته عايز يتجوزنى وافقت علطول ... جوازنا هيبقى نجاتى الوحيدة ... تقدر تتخيل كنت هتعمل إيه فيا لو كملنا و ... وطلعت مش بنت

أغمض عينيه غير قادرا على التخيل ... للحق لكان قتلها!

ابتسم بصعوبة متحدثا:

- لو ... لو عايزانى أساعدك تتطلقى منه ... وأنا مش ... مش هسيبك

تطلعت إليه بلهفة ممزوجة بسعادة غير مصدقة لتتحدث ببحة فرحة:

- بجد

أومأ بحماس واقترب من الطاولة أكثر عله يقترب منها:

- مودة ... أنا مقدرتش أنسيكى ... صدقينى طول السنين دى خيالك مفارقنيش ... حتى بنتى مجاليش قلب أسميها غير على اسمك ... هطلقك منه ونرجع ... موافقة ... ووالله هنسى الماضى وإنتى هتنسى ... هننسى كل حاجة ... هنعيش انا وإنتى

ابتسمت بفرحة تتطلع لأعلى وكل الاتجاهات بذهول:

- زياد ... زياد إنت بتتكلم جد ... لسة عايزنى ... بس ... بس آدم

تطلع لآدم بحب متحدثا بمرح:

- طبعا هيعيش معانا ... ده انا مش هسيبه غير لما يكتب على مودة ... ده حاضنها ولا كإنها لعبة خايف حد ياخدها

آه هو ييجى يحضن والآخر يهرب ... على جثتى

ارتفعت ضحكات سعيدة منها ليبتسم بحب فقد أخرجها من حزنها صمتت قليلا لتتحدث مرة أخرى بحذر:

- طب ... لو رفضت ... عشان ... التجربة اللى مريت بيها خليتنى خايفة من كل حاجة ... هتساعدنى أطلق برضو ولا ....

قاطعها بحسم متحدثا بصرامة:

- فرّقى كويس يا مودة ... طلاقك منه ده إنسانيا منى ... لكن جوازى فده حب ليكى ... والاتنين ملهمش علاقة ببعض يعنى فى كلا الحالتين هساعدك

ابتسمت ممتنة له لتجيب بشكر:

- شكرا

بادلها الابتسامة بحب لتنهض متجهة لابنها تأخذه بصعوبة فقد كان يحتضن مودة بشدة

زفرت وقد باءت محاولاتها بالفشل
نهض زياد بابتسامة يساعدها للفصل بين الطفلين
وسط محاولاتهما تلامست يداهما ليتطلع كل منهما للآخر بابتسامة وخجل

أبعدت يدها فورا تاركة إياه
بدأ يحاول جذب مودة الصغيرة حتى نجح

حملت آدم الذى يتحرك بعدم راحة كمن أخذت لعبته فعلا!

تحدثت بامتنان ولهفة:

- بجد مش هنسى مساعدتك أبدا ... بس هتطلقنى منه إزاى

ابتسم بخفوت وحب:

- متقلقيش هتصرف ... مش هنام الليلة دى إلا وأنا عارف هطلقك منه إزاى

أومأت براحة لتتحدث مرة أخرى بحذر:

- بس متنسيش إنه أبو آدم فأرجوك بلاش فضايح أو حاجة تضر ابنى

أومأ مبتسما باصطناع يخفى غيرته عندما لقبت ذلك الحقير ب(أبو آدم)

أفاق على تحدثها:

- سلام همشى أنا بقى اتأخرت

- تعالى أوصلك

ظلت لدقائق متسمرة مكانها لا تعلم ماذا تفعل ... تطلعت للأرض بتوتر لاحظ خوفها ولا يلومها ... تحدث بحب :

- مودة ... جربى تركبى معايا ... لازم تتأكدى إنى مستحيل آذيكى وتثقى فيا

فكرت لثوان معدودة حتى أومأت له بإرادة

اتجها للخارج وهما يتحدثان ببعض الأمور المرحة ينهيا بها وصلة الحزن

وصلت للمنزل الضخم الذى آواها منذ سنوات ... تدعو ان يفعل الآن أيضا

اتجهت للداخل بعدما سلمت على ذلك العجوز الذى يقف عند البوابة ... رحب بها ولم ينسها ... دعت ألا ينسوها هم أيضا

ضغطت على زر الجرس منتظرة ... ثوان وفتح الباب لتجد تهانى أمامها

ابتسمت وتجمعت الدموع بعينيها تتحدث ببحة:

- دادة تهانى

صدمت تهانى وجحظت عيناها ذاهلة لتسرع باحتضان وردة مهللة بفرحة حقيقية:

- وردة ... وردة ... عاملة إيه يا حبيبتى ... عاملة إيه ... بقى كدة مترجعيش ولا تسألى عليا

ظلت تبكى بأحضانها غير قادرة على الحديث
فتحت عينيها وهى تستمع لصوته العذب المتسائل:
- مين يا دا....

توقف عن الحديث يجدها بأحضان تهانى
عم الصمت والصدمة ... لا يعلم ماذا يفعل ... بدأ صوت قلبه يعلو ويعلو
ابتلع ريقه محاولا الحديث وأخيرا استطاع:
- و ... وردة ... احم ... إزيك عاملة إيه؟

أومأت له غير قادرة على الحديث
ظلا صامتين ماثلين أمام بعضهما كل لديه حديثه الخاص
تطلعت تهانى إليهما بفرحة وخبث سيتحقق مرادها قريبا:
- يلا يا حبيبتى متقفيش على الباب كدة تعالى جوة

ترددت كثيرا ... رفعت أنظارها تتطلع إليه كمن تستأذنه للدخول
تحركت شفتيه رويدا رويدا مكونة أجمل ابتسامة رأتها بحياتها

ابتسامته المحبة كانت كافية لتشجعيها للدلوف

دخلت مع تهانى حتى وصلا لغرفة الاستقبال
جلسا على الأريكة بصمت بينما هو ظل أمام الباب لفترة غير مصدق
أعادت؟! أم أنه يتخيل؟
لا ... لا يتخيل ... لقد عادت حقا

رغما عنه فلتت ضحكة فرحة سعيدة ... أغلق الباب ودخل ليجلس معهم
أعطاه الله فرصة أخرى لن يضيعها أبدا

دخل الغرفة وجلس أمامهم بإبتسامة يستمع لأحاديث تهانى المشتاقة معها
بينما هو يراقبها بلوعة ولهفة لاحظتها لتبدأ بفرك يدها بتوتر

ابتلع ريقه محاولا بدء الحديث:
- احم ... عاملة إيه؟

لم تعرف بماذا تجيب فاكتفت بابتسامة خافتة
ظهر اليأس والحزن بعينيه فقرر الصمت وعدم التحدث مرة أخرى

ثوان وتحدثت بتوتر موجهة حديثها له وسط مراقبة تهانى للأجواء:

- أنا ... أنا آسفة بس محتاجة شغل ... الفلوس خلصت وانهاردة ... صاحب البيت طردنى ... والله مش هزعجك أنا بس محتاجة مكان أقعد فيه يومين وشغل مش أكتر

أنهت كلماتها لتدمع عيناها

ثوان وارتفعت ضحكاته ... ستعود للعيش معه أيضا ... هل اصطدم بتميمة حظ دون أن يعلم!

فسرت ضحكاته خطأ ... ظنته يهزأ بها

نهضت بعنف من مكانها متحدثة ببكاء:

- آسفة خلاص همشى

توقف عن الضحك جاحظ العينان

نهض هو الآخر مسرعا متحدثا بلهفة:

- لا لا لا والله مش معترض بالعكس ... أنا فرحت جدا عشان كدة ضحكت مش أكتر

ارتاح جسدها حتى ظهرت إمارات الراحة على وجهها
ابتسمت بامتنان متحدثة بسعادة:
- مش عارفة أودى جمايلك فين؟
_ حطيها فى حضنك

نطقها ببلاهة لتتطلع إليه بذهول... حمحم محاولا تجاهل ما نطقه
تحدثت تهانى بسعادة:
- إنتى مش غريبة يا حبيبتى أوضتك فوق لسة زى ما هى إطلعى ارتاحى

تبسمت لها بفرحة واتجهت لأعلى حاملة حقيبتها التى غفل ذلك المحب عن حملها لدوامة عشقها التى غيبته عن الواقع

اقتربت تهانى منه رويدا رويدا لتربت على كتفه بحنان:
- أهى رجعتلك بنفسها ... متضيعش الفرصة من إيدك
- أبدا ده أنا هتشعلق فيها
قالها بمرح وهو ينطلق لأعلى يغير ملابس عمله يدندن بسعادة وقد عادت روحه إليه
تطلعت تهانى لأثره بحنان أمومى تدعو لأحمد بالرحمة ولسارى بالسعادة و الهناء

عض شفتيه بتوتر ... ماذا يكتب ... ماذا يكتب
أيخبرها أن تعود ... أم يسألها متى ستعود؟ ... أيزين كلماته بألحان من الحب
أم يتركها جافة بلا مشاعر؟
لا لا فلزيدها توهجا بمشاعره الفياضة
وعلى ذكر التوهج
شعر بضوء ساطع يضرب عينيه
رفع رأسه ينظر للطريق لتجحظ عيناه ... شاحنة ضخمة أمامه
ثانيتين فقط
تبادل النظرات بين الشاحنة والهاتف بيده ... دمعت عيناه
ارتعش اصبعه وهو يتجه لزر إرسال
لكن وللقدر رأى آخر
اصطدمت الشاحنة به قبل الاصلاح حتى قبل الاعتذار

انقلبت السيارة عدة مرات ليتذمر تقلبها تحته لتفلت منه ولكن هيهات لها كما له الآن

توقفت السيارة عن الدوران منقلبة على رأسها

فتح عينيه بوهن يتطلع للهاتف خارج السيارة بفعل انقلاب السيارة المستمر

أغمض عينيه وفتحها مرة أخرى بضعف
لتقع عيناه تلك المرة على مصدر الشر
تلك الرواية التى تحررت من صندوقها لتسقط بجانبه
تحركت شفتاه مبتسما بدمعات عاجزة
ثوان وأغمضهما ..... للأبد

دلفت للمنزل هى وآدم الصغير بعدما أخذت رقم وعنوان زياد تحسبا لأى شيء
وضعت ابنها على مقعد وجلست بجانبه مبتسمة بشرود
قاطع شرودها اهتزاز هاتفها
وجدته زوجها ... زفرت بضيق ثم أجابت عله يحل عنها:
- ألو
- حضرتك صاحب الموبايل عمل حادثة واتوفى تعالوا استلموا جثته بمستشفى

وقع الهاتف من يدها ... يا الله ... ماذا حدث؟
ظلت دقائق غير مصدقة
دقائق أخرى وانفجرت ضحكا سرعان ما بكت بحرقة

ارتفع صوت صراخها الممزوج ببعض الضحك
كانت كمن جنت تماما
تعلو صرخاتها المخيفة ليبكى ابنها أيضا

تطلعت إليه ببكاء وشهقاتها العنيفة تصاحبها
أغمضت عينيها ... ظلام ... لأول مرة تعشق سقوطها داخل الظلام الدامس!

مر أسبوع ووردة أصبحت قريبة من سارى أكثر
يتناولان الإفطار مع بعضهما ... أحيانا يتصل بها بحجة الاطمئنان على تهانى التى لا تملك هاتف ولا تستطيع استعماله
أحيانا يأخذ تهانى لتناول الطعام أو التنزه بالخارج فقط ليملك الفرصة للخروج معها

الكثير والكثير بذلك الأسبوع ... تلك الوردة بدأت تشعر بنظراته التى لم تتركها عندما أعلن أحمد رغبته بالزواج بها
نفس النظرة بل أحن وأجمل ... نفس النبرة بل أرق وأدفأ

عاد من عمله آكلا الخطوات للوصول إليها

كانت جالسة مع تهانى على الأريكة تتحدث بسعادة

دلف وألقى السلام وعينيه عليها لم تتركها

التفتت إليه لتتحدث مسرعة:

- عمى عبد الله كلمته من كام يوم على شغل وانهاردة قالى على محل هدوم عايز واحدة ومش طالبين مؤهلات وبمرتب حلو

صمت قليلا يتطلع إليها بجمود

تحركت تهانى للخارج تتركهما وحدهما

نظرت وردة لأثرها بتعجب ثم أعادت التطلع لذلك المتيبس بسكون

اقترب منها ببطئ حتى مثل أمامها تماما

تنهد بخفوت ثم بدأ حديثه:

أربع سنين ... أربع سنين على أول مرة شوفتك فيها ... أول ما خبطك كنت مرعوب وحاسس إنك هم ... لكن اكتشفت إنك أجمل هم فى حياتى لما اتكلمنا فى المستشفى ... حسيتك شبهى ... نفس الوحدة ... نفس التفكير ... حاجات كتير مشتركة ... عدت أيام وأنا بتجاهل إحساسى ... مش عارف ليه بس يمكن عشان كنتى فى بيتى تحت طوعى ... فكنت مطمن مش محتاج أتعب ولا أصارح نفسى

بدأت الصدمة لما أحمد الله يرحمه جه ... كنت مذهول إزاى ييجى ... أحمد اللى الكل بيشوفه بيحبه

كنت خايف تحبيه ... وللأسف حصل ... طلب إيدك قدام عيونى ... عيونى اللى

مشافتش فى جمالك ... عيونى اللى اتأسرت بيكى

باركتلك بكل قهر ووجع

باركتلك ومن جوايا فى نار بتكوينى ... نار بتحرقنى كل أما ييجى ياخد رأيى فى حاجة بخصوص جوازكم

اتجوزتوا وقلت هخطب غيرك وهعيش حياتى

بس للأسف عشت جحيم مش حياة ... مكنتش قادر أتخيلك معاه ولا أتخيل نفسى مع غيرك

بس صبرت وقلت لو ليا هترجعيلى

أحمد مات ... اتصدمت وزعلت ... وقابلتك تانى ... بس مش اتشديت ليكى عارفة ليه

عشان مسمحتش لنفسى بكدة

سلمت عليكِ وكنت زى اللى بيجرى فى سباق

سلمت وأنا عمال أحاول أفتكر كل همومى ومشاكلى يمكن تشدنى عنك

مشيت وبعدنا تانى ... حتى من غير ما أعرف بيتك فين

عدت أيام وتهانى عمالة تزن إنى أدور عليكى

بس أنا كنت خايف ... كنت خايف أتعب وأدور وفى الآخر ترفضينى

بس أديكى جيتى

ها هترفضينى؟

قالها ببراءة ودموع يتطلع إليها بألم

تلألأت الدموع بعينيها هى الأخرى
أكل ذلك بداخله ... كانت على حق عندما شكت بنظراته ... كانت على حق
لكن ماذا تفعل الآن؟

أفاقت على نظراته الراجية المتلهفة
سقطت عيناها على تهانى التى تقف عند الباب وهى تومئ لها بتشجيع
تطلعت إليه مرة أخرى و ... ابتسمت ليبتسم مباشرة شاعرا بعهد جديد من الفرحة

جالسون أمام القبر
تجلس بشرود تتحدث بداخلها معه بحسرة:
(يا خسارة يا محمد ... يا خسارة ضيعتنا كلنا ... إيه اللى غيرك
إيه اللى خلاك تعمل كدة ... طول عمرك كنت الإنسان الهادى الطيب ... إزاى عملت فيا كدة ... اتصدمت فيك جامد ... بس كل اللى أقدر أعمله دلوقتى إنى ... إنى أدعيلك بالرحمة ... وأوعدك ابنى مش هيعرف اللى عملته فى أمه ... كل اللى هيعرفه إنه أبوه كان بيحبه و... مات)

أنهت كلامها الصامت لتسقط دموعها ببطئ

أخذت أنفاسا عميقة تنهض وهى تحمل مودة الصغيرة
تطلعت لذلك الجالس بجانبها يحمل ابنها بابتسامة

بادلها الابتسامة ... نهض زياد هو الآخر حاملا آدم الصغير

وقفا أمام بعضهما مبتسمان بحب
سارا سويا للخارج ويداهما تتضارب ... بضع مترات مرت وهما تتضاربان حتى تعانقا

تمسك كل منهما بيد الآخر يتطلعان لبعضهما بشوق

هبطت نظراتهما للطفلين الذين يمسكان يدى بعضهما مبتسمان بطفولة .... ليبتسما بحب.

تمت

الكاتبة/ إسراء الزغبى